حسن محسب

الاختطاف

مكتبة غريب

الاختطاف

الفصل الأول

توقف تاكسى بالقرب من محطة الأتوبيس فى ميدان رمسيس ٠٠ وهرول اليه عدد من الرجال والنساء ٠٠ تمكن عاطف من فتح الباب ٠٠ ارتمى على المقعـد الخلفى لاهثـا ٠٠ اتخبط فى شخص آخر دون أن يعرف ما اذا كان هذا الشخص قد سبقه الى الركوب حالا ٠٠ أم أنه كان موجودا من قبل ٠٠ وسأله عاطف : « الجيزة ؟ الهرم ؟! ٠٠ » فلم يهتم بالرد عليه ! ٠٠

الى جوار عاطف سـقط جسم طرى رائحتـــه مزيج من عطر الليمون والعرق ، استوى الجسم على المقعد فصار واضح التكوين وأعلن عن فوز سيدة ــ أو فتاة ــ حسناء بالمقعد المتبقى ٠٠ حاولت الراكبـة غلق الباب فالتصق جسدها أكثـر بعاطف ٠٠ امتدت يد السائق من الأمام للخلف وأغلق الباب بعنف ، وكانت فرصة لعينى السائق لكى يشمل الراكبة الجميلة بنظرة واسعة غطتها من شعرها الأسود المتطاير حتى ساقيها الظاهرتين من الجيبة القصيرة ! ٠٠

تحرك التاكسى ببطء يفرضه زحام الشارع ٠٠ أخيـرا تمكن عاطف من القاء نظرة سريعـة الى جارته ٠٠ تأكد من جمـالها ٠٠

سعد بتلاصق ساقه بساقها وفرح عندما داعب شعرها الناعم الطويل ، وجهه المبلل بعرق أغسطس السخيف ٠٠ اهتز التاكسى وأطلق سائقه النفير بعنف وبصق فى الشارع وسب شابا يركب دراجة واحتك برفرف فلوكس شاحبة اللون وتقودها سيدة تضع على عينيها نظارة سميكة واستدار الى الراكب المجاور له وقال رأيه بوقاحة فى نساء الدنيا كلها وأكمل قصة طويلة عن أحداث ليلة أمس ــ وكل ليلة ــ مع أم عياله وقهقه وهو يقسم بشرفه أنه اذا وزن دماغه « بحجرين » و « سنة أفيون » فان تأوهات زوجته توقظ حى الشرابية كله وتجعل داورية أمناء الشرطة فى حيرة من أمرها !٠٠

انطلق التاكسى من اشارة تقاطع عماد الدين مع رمسيس ، وتبين عاطف بعد لحظة أخرى ، أنه وجارته الحسناء ، غريبين فى التاكسى ، فالسائق والراكب المجاور له ، وذلك الراكب الآخر المجاور لعاطف ، ثلاثتهم ، فى حالة اندماج كامل ، وان الحديث بينهم ذو شجون ٠٠ ولكنه لم يهتم ، اهتزت السيارة فى مطب عند اشارة التوفيقية ، وتوقفت وسط الزحام ، وبصعوبة شديدة ، تمكن عاطف من تحريك ذراعه المجاورة للراكبة الحسناء ٠٠ ومد أصابعه فى حرص والتقط منديله من جيب البنطلون وجفف حبات عرق كثيرة فوق مقدمة أنفه ، وحول عينيه ، وعند منابت شعره وحول عنقه ، وبالذات تحت ياقة قميصه ٠٠ حتى لا تدير له زوجته صفية أسطوانة كل يوم وتعلن أن حيلها انهد من غسل قمصانه وشراباته و ٠٠ و ٠٠ أدار السائق المرآة الداخلية بأصابعه الغليظةالملوثة بالشحم والقشف وغمز بعينه لجاره الراكب ٠٠ وجد عاطف المرآة فى مواجهته ولاحظ أن شعره مهوش جدا ٠٠ رأى أيضا سنة ذهبية فى فم السائق ٠٠ ورأى نصف وجه الراكب الأمامى ٠٠ ولح فخذى جارته الحسناء٠٠

وحاول اعادة المنديل الى جيب البنطلون لكن أصابعه لامست المؤخرة الطرية للراكبة فأسرع يبعد يده ويعتذر :

ـ أسف !٠٠

وترك المنديل على ساقه ، وأخرج علبة سجائره من جيب قميصه ، وقدم واحدة للسائق ٠٠ ومن باب الذوق ٠٠ قدم العلبة للراكبين الآخرين ، فرفع الراكب ـ الذى بجوار السائق ـ يده ليريه سيجارته المشتعلة فعلا ، وأما الراكب المجاور له فقد شكره ضاحكا : « أصلى بدخن جوزة ٠٠ أو بورى ٠٠ حسب التساهيل !٠٠ » ٠

اشعل عاطف سيجارته ، ونفث الدخان ببطء وتلذذ ٠٠ فها هو أخيرا فى طريقه الى البيت ، وسيروى لصفية ٠٠ كيف تمكن من الحصول على الاجازة ٠٠ ولمدة أسبوعين ٠٠ تصورى يا حياتى ٠٠ عندما وقع المدير على الاجازة تمنيت أن أطير اليك فورا لكى آخذك فى أحضانى ونعوض الذى ضاع من عمرنا فى الشجار والنقار والنكد و ٠٠ لكن ظللت ملطوعا على محطة الأتوبيس لمدة ساعة ونصف ٠٠ تصورى ٠٠ ليتنى مثلك يا حلوة الحلوين ٠٠ أنت سلطانة فى البيت ، وفى العمل ٠٠ مديرك يأمر بسيارة خاصة توصلك مع زميلاتك المدللات ٠٠ أما أمثالى من الخناشير فلنا الله ٠٠ تضحكين ؟!٠٠

وأغمض عاطف عينيه مستمتعا بضحكات زوجته صفية ، وابنته منى ٠٠ التى تضحك دائما دون أن تفهم شيئا من كلامه ، ولكنها دائما ٠٠ دائما تضحك كلما تحدث أمامها ، مما أكد له أن ملامح وجهه تبعث على الضحك كلما تكلم !٠٠

بدأ عاطف يرسم خطة محكمة جدا لأيام الأجازة : أسبوعان ·· خمسة عشر يوما ·· فى ٢٤ ساعة ·· فى ستين دقيقة ·· فى ستين ثانية ·· سوف يرتب كل الأمور مع زوجته لكى تتمكن من الحصول على اجازة لنفس المدة واذا احتجت بأن رصيد أجازاتها السنوية قد نفد ·· فسيقترح عليها أن تحصل على أجازة مرضية ·· أو أجازة « حمل » ·· أو « ولادة » ·· أو حتى تترك عملها ·· فهو لابد أن يعيش حياته كما يجب خلال هذين الأسبوعين ·· انها أول اجازة يحصل عليها منذ أصبح موظفا فى ادارة العلاقات العامة للهيئة العامة للعلاقات الدولية لشئون التجارة والسياحة والاستيراد والتصدير والمواصلات وخلافه ·· وكم كانت دهشته عندما اكتشف بعد عام من العمل المرهق المتواصل أن اسم جهة عمله أطول من كل أسماء شجرة عائلته منذ عصر خوفو حتى عصر آدم نزولا ·· وحتى عصر احمد عرابى صعودا ·· وكان يعتبر ذلك نكتة طريفة يحلو له أن يكررها أمام زوجته ·· كلما حاصرتهما الوحدة الكئيبة !··

اهتز التاكسى فى مطب أمام ادارة المرور فى ميدان عبد المنعم رياض ·· تزايدت حدة الحر ·· وارتفعت زمامير السيارات فى احتجاج دون جدوى ·· تزاحمت السيارات مع المارة بجوار جدار المتحف وتوقفت الحركة أمام الاشارة الحمراء ·

نظر عاطف الى جارته الحسناء ··اكتشف أن وجهها «مزرود» من الغيظ ·· وأن لونها ازداد جمالا واثارة ، وأنها جميلة بدرجة لم تخطر له على بال ·· لونها أبيض مشرب بحمرة الورد ·· اعتذر لها عن دخان سيجارته ·· مد أصابعه يبحث عن « الطفاية » فى الباب الملاصق لها فنامت ذراعه على فخذيها ·· كرر اعتذاره ·· أسرعت هى بفتح زجاج الباب فقذف ببقايا سيجارته وكرر اعتذاره وكاد

يصارحها بانه سخيف ، لأنه ضايقها ·· لكنها لم تهتم به وشمخت بأنفها الى سقف التاكسى ، فتمكن من رؤية عنقها وسمح لنظراته بالهبوط من العنق الى بداية النهدين ·· وتنهد ، ولام نفسه واتهم روحه بالوقاحة ، ولمح وجهه فى المرآة الأمامية التى يحركها السائق بمهارة وكانه مكلف برصد ملامحه وفخذى الراكبة الحسناء ·· أغمض عاطف عينيه ·· وهرب الى صفية ·· أراد أن يستكمل معها برنامج الاجازة ·· منذ عام أنجبا منى ·· منذ عامين كانا فى شهر العسل ·· منذ ثلاثة أعوام كان فى نهاية دراسته بقسم اللغة الانجليزية ·· وكانت صفية زميلته ·· وكان هو من المنصورة ·· وكانت صفية من الحى الريفى القديم بمدينة الفيوم ·· وقبل ذلك كان هو سليل احدى قبائل الغجر ·· وكانت هى ابنة تنكرت لها أمها و ··· توقف التاكسى قرب دوران ميدان التحرير فى اتجاه كوبرى قصر النيل ·· وانفجرت ضحكات السائق والراكب المجاور له ، والآخر المجاور لعاطف ، وكان الانفجار مدويا فارتبك عاطف·· أراد أن يفهم سببا لضحكاتهم لكنه عجز ·· فاكتفى بأن يبتسم وهو ينظر الى عينى السائق فى المرآة الأمامية ، ثم وهو ينظر الى وجه الراكبة الحسناء ·· لكنه ما لبث أن أحس بأن ابتسامته لا طعم لها ·· فابتلعها فورا وعاد يشعل سيجارة أخرى ·· وحاول أن يتسلى بمشاهدة زحام الناس والعربات فى الشارع وفوق الكوبرى العلوى الدائرى ·· وفجأة سأله السائق :

– على فين يا أخ ؟!··

أخفى عاطف ابتسامة ساخرة كادت تفلت منه ، فهو يتذكر جيدا أنه سأله ·· عندما ركب : « الجيزة ·· الهرم ؟! » وأنه قد سمح له – مشكورا طبعا – بالركوب بعد أن سمع جيدا سؤاله وعرف

بوضوح اتجاهه ·· واذن فلا مجـال لتكرار السـؤال و ·· ابتلع عاطف كل احتجاجه وكل سخريته وحاول أن يبـدو لطيفا وهو يرى السائق ينظر اليه بنصف عين ، ويكرر سؤاله فى لهجة حاسمة :

ـ « بقول ·· على فين ؟!·· » ·

قال عاطف بسرعة : « الجيزة ان شاء الله ·· ولو الهـرم فى طريقك اكون شاكرا جدا ·· » ·

وبسرعة صوب السائق نظرته الصارمة الى الراكبة الحسناء وقبل أن يسالها ، كانت تقول :

ـ « ميدان الدقى !·· » ·

قال السائق ، وهو يوجه غمزاته الى جاره :

ـ « يعنى الهانم مش مع البيه ؟!·· » ·

قال عاطف : « للأسف الشديد ·· لأه !·· » ·

لكنه تلعثم ذهنيا فجأة عنـدما داهمتـه ابتسامة الراكبـة الجميلة ·· فقد اكتشف أنها تبتسم له أو توجه ابتسامتها نحوه ، ولاحظ دسامة شفتيها ولمعان أسنانها واستدارة وجهها التى جعلته يحس أنه سبق أن رآهـا ذات يوم لا يذكره ·· لقـد كان وجهـا كالبدر اذا صار لونه مزيجا من لون الذهب والفضة والورد الأحمر ·· ولـح لون عينيهـا وكان خليطـا حلوا من الألوان الرمادية والخضراء والعسلية و ·· احتار ·· ارتبك ··

لحظتها تبادل السائق هزات الرأس والنظرات المريبة مع جاره الراكب ·· ولم يفهم عاطف أى معنى من وراء ذلك ·· لكنــه ظل – بعد ذلك بوقت قصير – يذكر هذه النظرات ، وهزات رأسيهما لفترة طويلة ومرعبة !··

عبر التاكسى كوبرى قصر النيل بسرعة وانحرف يمينــا بين حديقة الأندلس وبرج الجزيرة ، وفى ثوان صعد مطلع كوبرى اكتوبر الجديد ، ثم اتجه يسارا وانطلق بسرعة ، فزادت مداعبات الهـواء لشعر الحسناء ، وفرح عاطف بهفهفات الشـعر على وجهـه وعنقه وصدره ، وكاد يمســك أنامل جارته ويضــغط عليها بامتنان وهــو يحاول أن يتـذكر أين رآها قبـل الآن ·· ومتى ·· لكنه انشــغل باستعادة أيام حبه الأول لصفية ، وبعض شقاوته أيام المراهقــة فى القرية ·· عندما كان يملأ جدران الحجرة بصــور جميع ممثــلات السينما فى أوضاع ملونة ومثيـرة و ·· كان يحكى ذلك لصــفية فكانت تضحك وتقول له :

– « اكيد انت بايظ بالوراثة !·· » ·

انحرف التاكسى يمينا وهبط من كوبرى اكتــوبر الى شــارع النيل وصار قريبا من مستشفى العجوزة ·· ثم تجـاوزها وتوقف فى اشارة كوبرى الزمالك بجوار مسرح البالون والسيرك ·· سأل عاطف باحتجاج :

– « مش طريقنا الجيزة ؟!·· » ·

قال السائق – وهو يبتسم فى المرآة الأمامية : « لا مؤاخذة·· أصل البهوات اللى راكبين قبلكم رايحين امبابة ·· نوصلهم ونرجع ·· والا حضرتك مستعجل ؟! » ·

بسرعة أجاب عاطف :

ـ « أبدا !٠٠ » ٠

وبلع غيظه ، وأضاف : « أنا مصـــدقت ركبت ٠٠ المهم نوصل بالسلامة جميعا !٠٠ » ٠٠ لم يهتم السائق بالتعليق على كلام عاطف ٠٠ قالت الراكبة الحسناء :

ـ « أنزل هنا !٠٠ » ٠

انطلق التاكسى بسرعة ٠٠ عادت تقول بحزم :

ـ « حاسب يا أسطى !٠٠ » ٠

ودون أن ينظر اليها السائق قال :

ـ نوصل البهوات ونرجع عن طريق الدقى ٠٠ اطمنى خالص ٠٠ الدار أمان !٠٠ واحنا لسه فى عز الظهر !٠٠

سمع عاطف لهاثا مكتوما من الراكبـة الحسناء التى حاولت بصعوبة أن تضع ساقا فوق الأخرى لتستريح قليلا فى جلستها ، ولم تتمكن لكن المحاولة كشفت عن مزيد من فخذيها وأكـدت أن الجيبة قصيرة أكثر من اللازم !٠٠

انشغل عاطف بقراءة سطر فى الجـريدة المطوية فى يده ٠٠ « ولكن الانسان يشك فى ٠٠٠٠ » ولم يجد رغبة فى فرد الجـريدة ليكمل السطر ، ووجدها لعبة طريفـة أن يقرأ أنصـــاف السطور ، « قدرته على المقاومة ٠٠٠٠ » ، « والنـــاس فى اســتسلام الارادة التى ٠٠٠٠ كامنة ، مخلصة ، تلك ٠٠٠٠ اليوم ٠٠٠ وقـد سألنى

كيف ‥ ضعفت ارادته ‥ لكن ‥ تم انزال جميع ركاب الطائرة بسلام فى مطار الأقصر ‥ وأشارت وكالات الأنباء الى ‥ وجاهدت فجأة ‥ وواجهته المرأة فى ليلة عرسها ‥ وعصفت به الخمر فأردته صريعا وهو يفرغ كل ما فى جوفه فى جسدها وفراشها و ‥ أكثر أمانة ودقة ‥ » ٠

تنهد عاطف بملل وضيق ‥ وحاول أن يجد جوابا على سؤال قديم وجهته له صفية :

ـ « لماذا تتأخر دائما فى دورة المياه !‥ » ٠

قال : « اضطراب داخلى دفين ‥ ربما كان موروثا عن الأجداد ‥ أو من آثار أوضاع راهنة مثيرة للريبة والشك وفقدان اليقين » ٠

وضحكت صفية ونصحته بأن يقرأ لفلان وفلان ليتغلب على الامساك السخيف ‥ وقهقه عاطف بمرح ، لكنه أمسك نفسه عندما فوجىء بالتاكسى يتجاوز الكيتكات ويتجه يسارا وينطلق فى شارع طويل ثم ينحرف يمينا ‥ فيسارا ‥ والراكبة تقول بقلق واضح :

ـ « قلت ‥ أنزل هنا ‥ فاهم !‥ » ٠

قال السائق :

ـ خلاص يا هانم ‥ هانت ‥

عادت تكرر بضيق :

ـ نزلنى بقولك !‥

قال السائق ببرود شديد :

ـ دقيقة واحدة ·· ونرجع سوا ·· اطمنى ·· بقولك الدار أمان ·· واحنا لسه فى عز الضهرية !··

لمح عاطف لوحة معلقة على عامود طويل ومكتوب عليها بخط أسود متآكل « الطريق الى مطار امبابة » ·· كاد يدهش ·· لكن السيارة توقفت فجأة فى مكان مهجور الا من راكب دراجة كان يمر ببطء وعلى كتفه حزمة من أسلاك التليفونات وسرعان ما اختفى بين الحقول والخرائب ·· وعادت عينا عاطف من التجوال فى المكان ·· الى وجه جارته الجميلة فوجدها شاحبة جاحظة العينين وارتبك فاتجهت عيناه الى السائق ليعرف سر الذعر الذى جمد جارته فصدمت عيناه بمسدس يوجهه اليهما الراكب الذى بجوار السائق ولأول مرة يرى عاطف كل وجهه الأسمر النحيل المصموص ، وشعره الأجعد وأنفه الأفطس ونظراته التى تشبه نظرات مجرمى الأفلام المصرية ·· حاول عاطف أن يفهم سر هذه التطورات المفاجئة ، لكن جاره ·· الراكب ·· كان قد فتح مطواة قرن الغزال بمهارة ، وضع سنها فى عنق عاطف ، بينما امتدت يده الأخرى تفتش جيوبه بدقة وبسرعة غريبة ·· استولت أصابع الراكب على مرتب الشهر ، وبخفة مذهلة كان الراكب ينحى عاطف جانبا وكأنه « شوال تراب » ·· ويهجم على الراكبة الشاحبة التى أفلتت منها صرخة ضعيفة خافتة قبل أن يضع اللص مطواته على شفتيها ويدفع يده الأخرى فى حقيبتها ويجردها من كل ما فيها ، ثم دفع أصابعه بين نهديها وأخرج من « الستيان » لفافة نقود ·· لابد أنه مرتبها ·· انكمش عاطف بذعر وعجز ·· وظل يتابع أصابع اللص وهى تنتزع السلسلة الذهبية من حول العنق العاجى الجميل ، ثم وهى تأخذ القرط الذهبى من أذنيها وتقتلع بعضا من شعرها الطويل ·· الذى التف

على أصابع اللص فانتزعته من جذوره فندت عنها صرخة ألم جعلته يقهقه فى جنـــون ٠٠ ثم ـ وكأنمـــا اللص قـــد تذكـــر شـــيئا هاما ـ فاستدار الى عاطف وانتزع ساعته الثمينة التى أهدتها له زوجته فى عيد ميلاد زواجهمـــا الأول ٠٠ ولمدة ثانية واحـــدة حاول عاطف ٠٠ فكر أن يقاوم ٠٠ أن يضرب اللص ٠٠ أن ينتزع المسدس من يد شريكه وزميـــله ، أن يخنق الســـائق ٠٠ أن يرتمى بين اللص والراكبة الحسناء ليحميها بجسمه ٠٠ بروحه ٠٠ وأن يسترد مرتبه والساعة التى اشترتها زوجته بالتقسيط ٠٠ لكنه تردد ٠٠ وأدرك أنه عاجز عن الحركة وقد باغتته الأحداث وجففت حلقه ، وجعلتـــه يشعر بخوفه اللعين ، الذى لم يشعر به منذ كان طالبا فى الســـنة الثانية بالجامعة ٠ ودفعه حماسه الى أن يشترك ـ لأول مرة ـ فى مظاهرات الطلبة ، ويهتف مثلهم بسقوط العملاء والخونة ويطـــالب بتحرير سيناء ٠٠ ولكنه عنـــدما تلقى أول صـــفعة ، وزلزلته ضربة الحذاء بين فخذيه ، أحس بالخوف يتفجر بركانا بداخله ، وخرقت أذنيه تحذيرات أمه ٠٠ ويمين الطلاق المتكرر من والده ، وتضخم فى عينيه حجم القفل الأسود الذى وضعه والده على باب « المندرة » يوم حبسه فيها عقابا له على مخالفته لأوامره ، وسهره مع بعض زملائه فى المدرسة الاعدادية أو الثانوية لا لسبب الا لأن والده كان يخاف عليه من الفساد ٠٠ أو الانحراف ٠٠ أو أن يخطفه أنصـــار العائلات الأخرى المتخاصمة معه بسبب المنافسة فى تجـــارة القمح والأرز فى السوق السوداء الرائجة فى ظل الخبث الذى اشتهر به مخزنجى الجمعية التعاونية فى القرية ٠٠ و ٠٠ أغمض عينيه حتى لا يرى هتك عرض أحد زملائه الذين ظلوا متمسكين بعنـــادهم ٠٠ وظل يصرخ : « أنا مليش دعوة ٠٠ أنا مش معاهم ! » ٠٠ حتى بح صوته وصاح به صوت اللص ممتزجا بصوت والده ٠٠ والسجان الرهيب :

ـ انكتم ٠٠ اخرس خالص !٠٠

صاح عاطف وكأنه يهرب من ذعره وجبنه :

ـ لأه ·· لأه !··

·· كان وجه اللص يشبه وجه الجلاد الذى ····

ودوت صفعة قوية على وجهه ، فاتسعت عينـــاه ·· وهتف بصوت حاول أن يجعله غير مرعوش :

ـ كفاية ·· كفاية !··

لـكن سن المطواة انغرس فى رقبتـه وشرط جلده وأحس بدمه يسيل على كتفه وصدره ·· ورآه يلوث قميصه ، فأحس ـ فى نفس اللحظة ·· ببقايا شجاعته تنكمش ·· تنكمش ·· وكاد يجن عنـدما رأى أصابع اللص تتجه وكأنها مخالب الشـيطان ، الى عينيـه لتفقأهما ·· فأغمض عينيه وأبعد رأسه للخلف بسرعة ·· فانغرست أصابع اللص فى عنقه وكادت تخرقه ·· وقهقه اللص وزميلاه ·· بوقاحة شديدة ··

وبعد لحظة اكتشف عاطف أن أحد اللصين كان قد هبط من التاكسى واتجه الى الباب الخلفى وفتحه وانتزع الراكبة الشـاحبة المرعوبة وأجبرها على الوقوف ـ بعد أن انهارت على الأرض ـ ثم لوى ذراعها ودفعهـــا أمامه بقوة ، وهو يعرى مؤخرتهـــا بوقاحة ويدفعها خلف أكوام السباخ والتراب وحزم من الأسلاك الشـائكة الصدئة وبعض الهيش والبوص ، وكل ما حدث بعد ذلك تجسد فى صرخة قوية ضعيفة مشروخة مستغيثة مجنونة متهافتة ممزقة تلاشت سريعا فى صمت المكان ، لكنهـا ظلت تتردد فى أذنى عاطف وتلعنه وتبصق عليه وتعريه من كل آدميته وتجعله يشعر بسقوطه المستمر

الى قاع الاحتقار واندفع فى جنون واهتــزاز ليشتبك فى عراك مع اللصين لكنهما ضرباه بعنف وهدداه بأن يفعلا به ما **يفعله** زميلهما الآن بالراكبة الحسناء !·· فجحظت عيناه ، وتذكر أصــابع ذلك الحارس البغيض فى المعتقل وهو يهدده بهتك عرضه اذا أخفى أية معلومات عن نشاط زملائه الطلبة فانكمش على نفسه ونصل المطواة يلمع أمام عينيه مباشرة ويعدش أنفه ·· وأغمض عينيه وتمنى ألا يكون هنا أبدا ·· أن يموت ·· يتلاشى ·· تنشق الأرض وتبتلعه ·· أن يكف والده عن ضربه يوم ضبطه أحد الجيران يحتضن ابنته فصرخ وهاج وجمع أهل الشارع كلهم ولم يهدأ الا بعد أن اطمأن على أن ابنته سليمة بشهادة الداية التى أجرت كشفا دقيقا على عذرية البنت وأقسمت بمقاصيصها أنها سليمة وضرب عاطف علقة لن ينساها مدى حياته لأنها كسرت له ضلعا مازال يؤلمه كلما سقط فى مأزق ·· يومها قال والده غاضبا : « أجدادك الغجر لا يتباهون بهتك الأعراض يا كلب !·· » و ·· تذكر فجــأة زوجته صفية ·· وابنته منى ·· الرضيع الجميلة ·· وشعر بأن حياته الآن تخصهما · يجب أن يعود سليما اليهما ·· نظر الى اللص والسائق فى ضعف شديد والتوسل واضح فى نظراته وأراد أن يقول لهمــا أنه آسف لركوبه معهم ·· وأنه لن يشهد ضدهم بأى شىء ·· وأنه لم يقصد أن يكون شاهدا على أى شىء ·· وأنه سيسافر بأسرع ما يمكن الى خارج مصر كلها ·· وأنه خسر مرتبه كله ، وساعته هدية زوجته له ·· وأنه أصبح عاجزا عن سداد ديونه وديون زوجته · وليس معه أى شىء آخر يمكن أن يبخل به عليهم وأن دبلة زواجه اضطر لرهنها عند « الست وداد » جارتهم المرابية ، لكى يشــترى الدواء لابنته منى بعـــد أن تعذر الحصول على سلفة وأحرجت زوجته من الذهاب الى خالها لتستدين منه ثمن الدواء للطفلة و ·· لكنه عجز عن قول أى شىء على الاطلاق ·· السكين فى عنقه ·· وهو يلصق وجهه بركبته ناظرا الى حذائه

فى‌ذل غارقة فى‌خوفه ٠٠ واحتقاره للدنيا وكل ما فيها ٠٠ ولاحظ تبادل اللصوص على الراكبة المسكينة ٠٠ لم يعد يسمع صراخها ٠٠ لكنها كانت تستغيث فى ضعف وكانهـــا تموت ٠٠ وافاق على ســيجارة مشتعلة يدفعها احد اللصوص بين شفتيه ويدعوه الى أن يدخن ٠٠ ويروق مزاجه لكى ياخذ دوره مع البنت اذا اراد ٠٠ ثم اقسم له انها كانت عذراء ٠٠ « تصور !٠٠ » قالها اللص متفاخرا أو ساخرا ٠٠ عاطف لا يدرى ٠٠ لكنه ازداد حزنا ٠٠ وعجز عن جذب نفس من السيجارة وعجز عن اسقاطها من بين شفتيه وظل الدخان يتصاعد ويتصاعد حتى لسع عينيه فدمعتا ٠٠ وانهمرت دموعه فبكى كثيرا بمرارة وفى صمت تام ٠٠ واعتذر بأن الدخان يؤلم عينيه ، عنــدما نظر اليه اللص ساخرا من « رجالة آخر الزمن !٠٠ » وبذل عاطف مجهودا جبارا لكى يحرك يديه ويمسح دموعه ٠٠ ويفرغ أنفــه فى ورقة من الجريدة ٠٠ بعــد أن أعياه البحث عن منديله ٠٠ وانتهــز الفرصة ليغطى عينيه براحتيــه وهو يرى اللص الثــالث قادما من عند البنت وهو يزرر بنطلونه بصورة مقززة ٠٠ وتمنى عاطف لو أن زلزالا دمر المكان والزمان ليتلاشى معهما تمــاما ٠٠ وطال انتظاره لكن الكون ظل كما هو ٠٠ ضغط ذراعه ٠٠ عض شفتيه ٠٠ ليتأكد من أنه فعلا يعيش هذه اللحظات الداعرة وأنه ليس ضحية كابوس رهيب ٠٠ وسقط فى مستنقع الحقارة عندما تأكد أنه فعــلا هنـــا ٠٠ وأنه فعلا يعيش ويرى ويعجز عن انقاذ فتـــاة كانت حسناء ٠٠ وكانت عذراء ٠٠ لكنها ضاعت ٠٠ أضاعتها الهمجية وضيعها جبنه وتخاذله و ٠٠ صرخ : أنتم سفلة ٠٠ همج ٠٠ لكن قبضة متوحشة اتجهت الى أسفل بطنه ٠٠ واستقرت ركلة أقوى بين فخــذية فسقط بصرخة مكتومة !٠٠

★ ★ ★

الفصل الثانى

فى الثامنة مساء ، وصـــل عاطف الى مسكنه ، فقـــد نظرت صفية الى ساعتها وأخبرته بالوقت وهى تسأله بلهفة وقلق عن سبب تأخره وعما حدث له ولماذا جرح فى عنقه و ·· عجز عن تقبيلها ·· عجز عن مداعبة منى وسقط متهالكا فوق أول مقعد صادفه بعـــد الباب مباشرة ·· داعبته صفية بقلق :

ـ اتخانقت مع المدير ؟!··

أخفى وجهه فى راحتيـــه فترة طويلة ·· أشعلت له صـــفية سيجارة ·· وضعتها بين شفتيه وقبلته ومررت أناملها على شعره ·· على عنقه ·· على جرحه ·· ومنى ترقبهما فى سريرها الهزاز ·· ذى العجلات ·· وسألته صفية بقلق أشد ·· وهى تحاول تكسير صمته المريب :

ـ قوللى ·· مالك يا عاطف ؟!··

همس بمرارة :

ـ شىء فظيع ·· فظيع ·· فظيع !··

ابتسمت صفية مشجعة ، لتهون عليه ، ولتداري قلقها وحملت الطفلة الرضيع من فراشها ·· وتركتها فوق صدر عاطف كعادتها ، وانشغلت بخلع حذائه وسرواله وقميصه ومداعبته فى صدره وشفتيه لكنه لم يستجب كما عودها ، فقالت :

ــ ايه ؟·· الدنيا اتطربقت ؟!··

صاح بحزن :

ــ ارجوكى ·· انا مش طايق روحى !··

واصلت دعابتها له ، وبالغت فى ادعائها المرح لتخفف عنه وهى تجلس فوق ساقيه وتضمه هو والطفلة الى صدرها الذى كشف عن مفاتنه ثوبها المنزلى بحرية طاغية ·· وقالت ، وأناملها تدلك ظهره وعنقه :

ــ تعرف انى أجدع منك يا عطوفتى !··

نظر اليها فى فزع ·· وضيق ·· ولكنه سرعان ما أدار عينيه بعيدا عنها ·· عن أنوثتها الصارخة ، وكأنه لا يريد أن يضاعف من احساسه بالعجز مرة أخرى ·· لكنها أضافت ، ولهاثها يلفح وجهه :

ــ النهاردة ·· عربية الادارة عطلت ·· وحصل اللى حصل لى فى المواصلات ··

سألها فى رعب :

ــ حصلك ايه ؟·· قولى ·· اتكلمى ؟··

ضحكت وقالت :

– اخر بهدلة طبعا ·· زحمة ·· زق ·· تفعيص ·· واحـــد رذل لازق ورايا ·· وواحد أرزل لازق قدامى ·· و ··

ضحكت بمرح زائد واستخفاف وسألته :

– وماذا تفعـــل لو كنت مكانى ·· مفعوصا من رأسى حتى قدمى ؟!

قاطعها عاطف برجاء حار :

– أبوس ايديكى يا صفية ·· أنا مش طايق هزارك ··

قالت متغاضبة :

– أنا مش بهزر ·· فى زحمة الاوتوبيس و ··

نهض فجاة ، وقال فى تعب شديد :

– سبينى فى حالى ·· خدى بنتك واحكى لها بقية قصصك الخيالية أو الحقيقية ·· المهم ارحمينى شوية !··

كانت صفية قد وقعت على السجادة عندما دفعها عاطف وهو ينهض ·· وأرادت أن تظل هكذا ! ·· لأن ثوبها المنزلى القصير المفتوح كان يكشف الآن عن كنوزها ··· وتمنت لو أن عاطف نسى همـــومه وشاركها الاستمتاع بالنوم على الأرض ·· كما اعتاد أن يفعل معها كلما تقـــارب جسداهما فى أى ركن من أركان مسكنهما الصـــغير ، لكنه ترك منى تسقط من يديه فوق صدرها ، وهرول الى الحمـــام وأخذ يتقيأ بصعوبة ويتأوه فى يأس قاتل ·· أسرعت صفية اليه ··

رآته تحت الدش مغمض العينين والميـاه تندفع فوقه ، وهـو متكور على نفسه على بلاط الحمـام كأنه يريد أن يغرق ·· أو يتـلاشى فى خيوط المياه الغزيرة ··

سألته صفية فى مودة وحنان :

ـ أغسل لك ضهرك ؟!··

قال فى غمغمة خافية :

ـ اقفلى الباب وراكى !··

وعندما عاد الى غرفته ، كان قد انتعش قليلا ·· فتمكن من ارتداء ثياب المنـزل ، وتمـكن من الجلوس على حـافة الفراش ، واستطاع أيضا أن يحمل ابنتـه منى بين يديه ، وأن يضمهـا الى صدره و ·· قبلها كثيرا ، ونظر الى زوجته ، وقال بصوت مسحوق:

ـ على فكرة يا صافى ·· أخـذت الاجـــازة ·· أسبوعين بحــالهم ·· و ·· ونسيت أقبض مرتبى ·· تصـورى ·· وتركت ساعتى للتصليح عند ساعاتى قريبمن الشغل و ·· و ·· و ·· حدثت خناقة كبيرة قوى فى الأتوبيس بسبب كلب زى اللى بيعاكسك ·· مش قادر أتصور ·· انسان له عقل ·· يقف وراء سيدة محترمة لكى يهينها ·· أعوذ بالله ·· المهم ·· عليكى انك تأخذى اجازة·· و ·· ايه رأيك نسافر الفيوم ·· والمنصورة ·· و ··

قهقهت صـفية طويلا حتى استلقت على ظهـــرها فى اغراء واضح ، وكشفت عن كنـوزها وهى تتقلب على الفراش فى حركات كانت ـ قبل الآن ـ تجعله يبادلها الحب ·· فىعنف يفجر فى أعماقها نشوة تزلزل جسدها وأحشاءها ويجعلها تلهث و ···· وتصرخ فى

استمتاع وهى تذوب فى احضانه و ·· لكنه ظل جالسا يداعب منى فى رتابة وذهول ·· سألته :

ـ ايه رأيك نخليها اجازة حب ·· نقضيها هنا ···· ونوفـر المصاريف لأن الأقساط هذا الشهر زادت قسط الغسالة و ····

قال :

ـ قلت لك ·· أسبوع فى الفيوم ·· وأسبوع فى المنصورة·· لابد أن نسافر ··

قالت وهى تضع رأسها على فخذه :

ـ وحنروح لمين ·· هناك ؟!··

لم يرد عاطف ·· ظل صامتا ، مداريا خزيه فى مداعبة منى بشكل آلى جاف ·· ملول ··

أكملت صفية فى أسى واضح :

ـ أنت تعـرف ·· أهلى فى الفيوم لا يحبـــونك ··· وأهلك فى المنصورة فى انتظار الخبـر العظيم ·· طـلاقى منك ، ليقيموا الأفراح والليالى الملاح ويجـوزوك المحروسة بنت الشملولة عمتك المحترمة ·· ملكة جمال الغجر الـ ··

صمتت صفية فجأة وخنقها البكاء ، وانزلق عاطف من حافة السرير ، وجلس على السجادة ، وجذب صفية من شعرها الطويل فزحفت اليه تمددت بجواره فى صمت ، وبصعوبة تمكن عاطف من قذف منى الى الفراش بحنان ·· فرقدت على بطنها وأخذت تجـذب

شعر أمها بشقاوة وهى تضحك فى مرح وبراءة ·· وأراح عاطف رأسه على صدر صفية ·· أخيرا سألها وهو مغمض العينين :

ـ متى أخذت الدوا ؟!··

ابتسمت صفية وقالت : حالا !··

سألها : تعملى ايه لو مريتى بمحنة رهيبة ؟!··

قالت بمرح : أحبك أكثر !··

كانا قد اعتادا اعطاء الطفلة كوبا من اللبن الدافىء لتنـــام بسرعة ولا تحرجهما بنظراتها الجريئة ·· فأسرعت صفية تعـــد كوب اللبن ، بينما انشغل عاطف باعطائها دواء السعال ، ثم بحث عن علبة الحبوب المقوية والمنشطة وتعاطى قرصين ·· أخذ يمتصهما حتى اقشعر بدنه من مرارتهما ··

وعند منتصف الليل ، كان عاطف يدفن كل أحزانه بين أحضان زوجته ، وهو يثرثر بكلمات تذوب حروفها من حرارة حب صفية له ، وان كانت أذناها قد التقطت بعض الحروف التى يمكن أن تكون كلمة أو كلمتين مفهومتين ، وبعد أن أضافت الى حروفه المتقطعة ما شاء لها خيالها ، صارت كلماته على النحو التالى :

ـ الحياة بدونك يا حياتى لا تحتمل ·· ولا يمكن أن ··· لو أظل هكذا الى نهاية العمر ··· الخ ·

ثم ·· وفى النهاية كان يجفف عرقه ، وهو يقترح :

ـ ما رأيك يا صافى ·· نظل هكذا ···· الى أن نموت ؟!

قبلت صفية شفتيه ، وعينيه ، ودلكت ظهـــره المبلل بالعرق ، بأناملها الحانية الدافئة ٠٠ وقالت :

ـ نموت ؟!٠٠ وحبنا هذا ٠٠ والبنت منى ٠٠ نتركهما يتامى ؟

ثم جذبته ٠٠٠٠ ، وأخذت تداعبه بحنان أسال دموعه وجعله يهمس :

ـ آه لو تعرفين ٠٠ آه لو تعرفين !٠٠

وصمت ٠٠ ظل صامتا ، أخيرا سألته :

ـ ماذا سنفعل فى الاجازة ؟!٠٠

قال بسرعة :

ـ نهرب من مصر كلها !٠٠

ضحكت ٠٠ وقالت :

ـ يبدو أنك ورثت عمارات جدك المرحوم خوفو ومنقرع و ٠٠

قاطعها بمرارة :

ـ تمنيت كثيرا لو كان لى أى قريب ثرى ٠٠ اننى كما تعلمين حصـــاد فقر أصيل وجوع طويل ، ترجع جذوره الى بداية الحيــاة نفسها على ظهر الأرض !٠٠

قالت فى محاولة مستميتة لجره الى المزيد من الثرثرة لعلهـا تعرف ما حدث له :

ـ اذن ٠٠ فقد سطوت على خزانة الادارة العامة للعـلاقات العامة للعلاقات الـ ٠٠

وضع اصابعه على شفتيها ليسكتها ، وهو يضحك فى أسى ، ويقول :

ـ يكفينا مرتبك ٠٠ لا مفـر من ذلك ٠٠ مادمنا من الغـالبية الساحقة التى ليس لها آباء أو أعمام أو أخوال من لصوص القوم !

حذرته قائلة :

ـ هل اشتقت الى السجان الذى كان يضربك فى المعتقل ٠٠ لقد ضربك مرتين وقد تكون الثالثة قاضية !

اهتز جسده من الفزع وهو يقول :

ـ أعوذ بالله ٠٠ دعينا من وجع القلب ٠٠ وأخبرينى ٠٠ هل سيوافق مديرك الهمام على منحك الاجازة ؟!٠٠

قالت بخبث ودلال :

ـ رغم أنفه ٠٠٠٠

قال مدعيا الغيرة :

ـ أراك واثقة ٠٠ هل هو ضعيف مثلى أمام جمالك ؟!٠٠

قالت وهى تقرصه :

ـ كف عن الوقاحة ٠٠ وأخبرنى أنت ٠٠ كيف نعيش ونأكل بعد الاجازة ؟!٠٠

قال : نشحت طعامنا من البقال والجيران ونجعل منى تصوم عن اللبن الصناعى والحليب والدواء !٠٠

قالت :

ـ أو نتناوب الوقوف بجوار مسجد السـيدة زينب أو سيدنا الحسـين وندعى العمى والجرب ، والاصـابة بكسور أو عاهات مستديمة فى احدى غارات الحرب ٠٠ ونمد أيدينـا للمتصـدقين ونهرب من التجار الذين لهم أقساط كثيرة و ٠٠

قال عاطف :

ـ فكرة سخيفة ٠٠ لابد من شىء جديد ٠٠

قالت صفية :

ـ اذهب الى سماسرة الشقق المفروشة والبوابين ، واعـدك بأننى فى ليلة واحدة سأعود اليك ومعى أكثـر من مرتبى ومرتب عشرين موظفا مثلنا ٠٠

ووقفت ٠٠ هزت وسطها ومؤخرتها وصدرها وطوحت ذراعيها وشعرها فى رقصة مجنونة ٠٠ وغمزت بعينيها وسألته :

ـ مؤهلاتى مضمونة بغطاء من الاسترلينى وما عليك الا أن تأمر ٠٠ وأنا تحت أمرك ٠٠ وسأجعلك من كبـار المليونيرات ٠٠ وأسدد جميع ديوننا ونحس بأن كل شىء هنا قد صار ملكنا فعلا ٠٠

صاح بقرف ٠٠ : صفية ٠٠ أرجوك ٠٠ كفى عن هذا الزفت ٠٠ أتوسل اليك ٠٠ ارحمينى ٠٠

قالت وهى تنهار الى جواره :

ـ مرتبى وحده لن يكفى ٠٠ والديون كثيرة !٠٠

قال :

ـ بعد الاجازة ٠٠ اتصرف أنا و ٠٠

سألته فجأة :

ـ وأين مرتبك ؟!٠٠

نظر اليها بذهول ٠٠ وعادت أحداث الظهيرة المشئومة تتجسد أمامه من كل الزوايا ٠٠ وبلله العرق ووجه الراكبة الحسناء يلتصق بعينيه ٠٠ واستغاثتها تؤلم اذنيه وتزلزله بلا رحمة و ٠٠

ضحكت صفية وقالت :

ـ طول عمرك مكار يا عاطف ٠٠ قل انك قصدت عدم صرف مرتبك الا بعد الاجازة لكى نجد ما يكفينا بعد أن نفلس و ٠٠

استرد شجاعته ، وقال :

ـ تقريبا !٠٠

ثم خشى أن تحاول استدراجه ، فأسرع يسكتها بسيل ضعيف من القبلات والأحضـــان ٠٠ لكنه كان مرتبكا يلهث بارتخاء واضــح فابعدته ٠٠٠٠ وتنهدت وهى تسأله :

ـ تأكل ؟٠٠ لابد أنك جائع جدا ٠٠

هز راسه فى استسلام ٠٠ لكن صوتها حاصره عندما سألته بحدة مفاجئة :

ـ ألم يكن عندها طعام ؟!

صاح :

ـ من ؟!٠٠

عادت تباغته :

ـ رجل مثلك ٠٠ يستهلك رجولته مع أكثر من امرأة ٠٠ لابد له من طعام دسم !٠٠

سألها بذهول :

ـ ماذا تقصدين ؟!٠٠

سألته فى تحد :

ـ أهى أجمل منى ؟!

سألها بصوت مسحوق :

ـ ماذا تقولين يا صافى ؟٠٠

سألته :

ـ متزوجة ٠٠ لابد أن لها رجلا ما ٠٠ زوج أو أب أو عشيق غيرك ٠٠ والحمد لله أنه لم يقتلك ٠٠

قال بغضب مضاعف :

ـ انت مجنونة .. بالتأكيد مجنونة !..

قالت بصوت يعكس ضيقها وعذابها :

ـ اكون مجنــونة اذا صدقت كلامك الفـــارغ عن خنـــاقة الاوتوبيس !..

قال عاطف برجاء واستضعاف :

ـ لم اكذب عليك ابدا !..

قالت :

ـ يعنى جرحت ونشلت فى خناقة الاوتوبيس ؟..

قال :

ـ لابد ان تصدقينى .. لابد !!..

ضحكت بفتور .. وقالت :

ـ اتصالك بى هذه المرة كان مهزوزا .. ضعيفا غير مشـبع كالعادة !..

ضحك وضربها مداعبا على مؤخرتها ، وقال :

ـ شىء طبيعى يا حياتى .. رجل محترم وقور مثلى .. فجأة تنهطل كرامته ويهان من بعض الرعاع فى الاوتوبيس .. لابد ان يحدث له اهتزاز وارتجاج ومن يدرى ربما اصاب بالسعار فاعضك هكذا .. هكذا ..

وتبادلا عضات هينة وقبلات فاترة وأخيرا قال لها :

– عندى اقتراح ٠٠٠٠

قالت :

– موافقة مقدما ٠٠ ما هو ؟!٠٠

قال : دعينى أموت من الجوع لأرتاح من كلامك ومن الاقساط ومن كل شيء ٠٠

قرصته ٠٠ طاردها بصعوبة ٠٠ تركته ، وهرولت تعد له طعاما شهيا وهى تحكى له كيف انشغلت به منذ عادت من عملها فى سيارة الشركة ٠

– قلت انها كانت معطلة اليوم ٠٠

قالت :

– مديرنا رجل حكيم ٠٠ حنون ٠٠ عطوف ٠٠ لم يرد لنا ان نهـان فى الأوتوبيس أمر لنا بسيارته الخاصة ٠٠ اوصلتنا انا وشهيرة وابتسام وسناء و ٠٠

قال :

– ان تخيلاتك وتصوراتك واوهامك لا نهاية لها ٠٠ المهم احترسى ٠٠ الكبدة ستحترق ٠٠ خفضى النار قليلا ٠٠

ضحكت ووضعت له قطعة فى فمه فلسعته وتضاحكا كثيرا

ثم قالت :

ـ تراهنت مع زميلاتى على أننى سأذهب اليهن غدا وأنا فى قمة السعادة و ٠٠٠٠

ضحك وقال :

ـ ألهذا اشتريت الكبدة و « الحلويات » ٠٠

قالت :

ـ وزميلاتى اشترين أيضا مثلى ٠٠

وتراهنا ٠٠ التى تفوز بحب زوجها أكثر من مرتين هذه الليلة هى التى تقبض « الجمعيـة » قبل غيرها ٠٠ وعلى فكرة الجمعيـة بمائتى جنيه ٠٠ تصور ؟!٠٠

واحس بأنه يبتلع زلطة رغم أنفه ، وسألها :

ـ وكيف تتأكدن يا شيطانتى ٠٠ من الفوز فى هـــذا الرهان المجنون ؟!٠٠ هل عندكن عدادات خاصة بهذا الأمر فى العمل ؟!٠

ضحكت وقالت :

ـ فكرة ممتازة ٠٠ سنفكر فى البحث عن مثل هذه العدادات !

انتابته رغبة فى الالحاح :

ـ كيف تعرفن كيف فازت احداكن مرة ٠٠ أو مرتين ؟٠٠

قالت :

ـ هذا سر ٠٠ ولن أبوح به ٠٠

ألح عليها فى عبط شديد وقد انتابته رغبة مجنونة فى ممارسة الهيافة ·· ولكنها لم تبح له بالسر ·· وفاجاته بسؤال ــ متى نشترى الثلاجة والتليفزيون الملون والسخان ·· واخبرته فورا بان جارتهم الست وداد جاءتها اليوم واستعارت منها الغسـالة ·· تصور ·· الغسالة ·· ماذا اقول لها ؟!··

لم أخبرها أننى تعبت حتى اشتريتها بالتقسيط غير المريح ·· ولم أرفض طبعا فهى صاحبة فضل علينـا ·· تساعدنى فى عمـل البيت ·· وترعى منى أثناء وجودنا فى العمل !··

قال :

ــ بالمناسبة ·· سأستدين منها مائة جنيه بالربا الفاحش !··

قالت :

ــ ولماذا تستدين ·· انها تريد أن تنجب ولدا أو بنتا ·· وهذه فرصة مريحة لك

قرصها عاطف فى وجنتيهـا بعنف ·· وقهقه فى محـــاولة للتخلص من قرفه ·

ضحكت صفية وعادت تقول :

ــ لو رأيت تعلق وداد بالبنت منى لأشفقت عليها ·· ولولاها ماذا كنا سنفعل بمنى ؟·· اننى لا أستطيع أن آخذها الآن الى دار الحضانة فى ادارتنا ·· الدادة أخطأت فى رعاية ابن زميل لنا ·· ضربها ·· وهناك تحقيق واتهام بانها على علاقة بالموظف والاشاعات كثيرة ·· و ·· لكن لم تخبرنى ·· الأكل عجبك ·· على فكرة جارتنا وداد عينها منك ·· دائما فى سيرتك تقول دائما ان دمك خفيف جدا

٠٠ وكل هذا يسهل لك الحصول على منحة ضخمة منها وربما تنازلت لك عن نصف عمارتها ٠٠ ما رأيك ٠٠ وكله بثوابه يا سليل الغجر العظام !٠٠

انحشرت قطعة كبدة فى حلقه ، فتحت له زجاجة بيرة ، فقال :

ـ يظهر انك واثقة من الفوز بالرهان على زميلاتك ٠٠ تصورى ٠٠ لم اكن أعرف أن من بين فوائد الزواج أن ينسى الانســـان كـل حقارات الدنيا ٠٠

سألته :

ـ ماذا تقصد ؟٠٠

قال :

ـ لا تشـغلى نفسك ٠٠ المهم ٠٠ هل توافقين على أن أتزوج جارتك الحسناء الست وداد ؟!٠٠

ضربته مداعبة ، وقالت :

ـ زوجها يئس من علاج نفسه ٠٠ ذهب للانبياء كثيرا ٠٠

قال ساخرا :

ـ انه محظوظ ٠٠ ارتاح من رهان زوجته على الفوز به ٠

عضته وأضافت :

ـ وعمل أحجبة وتعاويذ عند المشـايخ والنصابين ولكن بلا فائدة ما رأيك ٠٠ نذهب مع وداد غدا للفرجة على الزار ٠٠ قالت لى أن الشيخة جليلة تقيم الزار فى حفل لا يخطر على بالك ويفوق

مهرجانات ألف ليلة وليلة ٠٠ وانها قادرة على اخراج العفاريت من أجساد المجانين أمثالك ٠٠ خذ هذه لأجل خاطرى أنا ٠٠ وهذه ايضا ٠٠ أرجوك يا عطوفتى ٠٠ وهـذه لأجـل منى ٠٠ قوللى ٠٠ ماذا سنفعل فى الاجازة ٠٠ امضغ الكبدة جيدا لكى تتحول الى بهـريز وعصـارة وتزيد من قوتك فورا ٠٠ لا وقت عنـدى ٠٠ وضحكت بدلال ٠٠ واستطردت : ولا أريد أن أخسر الرهان ٠٠

واجتاحتهما أمواج العشق والجنون والعرق واللهاث المتصل ، اندمج عاطف فى لعبة الحب لينسى ما حدث ٠٠ وبذل جهدا مضاعفا وكأنه يشترك فى سـباق عالمى للسباحة ٠٠ فتـرك نفسه لأمواج الطوفان ٠٠ لا ليفـوز ٠٠ ولكن على أمل أن يذهب به بعيـدا ٠٠ وبعيدا ٠٠ الى حيث نقطة اللاعودة ٠٠ واللاوعى ٠٠ و ٠٠ حتى نزف دما ٠٠ فشحب لونها وسألته :

ـ دم ؟! ٠٠

قال فى ذلة منكسرة :

ـ لم أعد أحتمل البقاء هكذا ٠٠ أريد أن أتخلص من كل خزين العمر ٠٠

سألته :

ـ ماذا حدث ٠٠ انك تخفى عنى أشياء مخيفـة ٠٠ وهاأنذا أحاول استدراجك منذ عدت لى مهانا ذليلا ٠٠ وقد أوشك الفجر على الطلوع ٠٠ وأنت لا تقول شيئا والآن ٠٠ أخبرنى ٠٠ ماذا حـدث لك ؟ ٠٠

قال عاطف :

ـ أحيانا يخيل الى أن أهـرب من عارى وضعفى فى معـركة مهلكة مع جسدك وهأنذا أحاول !٠٠

سألته :

ـ تقول ٠٠ عارك ٠٠ وضعفك ؟!٠٠

تنبه فجأة ٠٠ فراوغها قائلا :

ـ اعذرينى يا حياتى ٠٠ ان البيرة هذه المرة لم تكن مغشوشة ٠٠ ثم اننى ضمنت لك فوزا ساحقا على كل نساء الدنيا فى ليـلة واحدة ٠٠ وستأخذين « الجمعية » قبل زميلاتك !٠٠

احمر وجهها فجأة ، وانكمشت فى صدره ٠٠٠

ابتسم ابتسامة بلهاء وقال :

ـ الحياء ٠٠ الحياء !٠٠ لقد أصبح عملة نادرة فى هـــذا الزمن المجنون !٠٠

وأغمض عينيه ، بحثا عن وسيلة أخرى للانتحار ٠٠ وعندما تأكد أن صفية راحت فى نوم عميق ٠٠ أحس بحريته فى استرجاع شريط الأحداث ٠٠ فلمعت أمامه عينا الراكبة الحسناء وثقب أذنيه صوتها المستغيث وضرب رأسه فى الحائط ٠٠ لكن وجه الراكبة ظل ملتصقا بعينيه ، واللص يعرى مؤخرتها ٠٠ و ٠٠ نهض من فراشه وهو يحاول أن يعرف لماذا يهيمن على فكره أنه رآها من قبل ؟٠

واشعل سيجارته ، وخرج الى البلكونة ٠٠ صـــدمته برودة الفجر ٠٠ ونباح الكلاب ، ورأى شخصين يتجهـــان الى المسـجد المجاور للكازينوهات القريبة التى بدأت أنوارها تنطفىء تدريجيا ٠٠ وحدق فى الســماء ٠٠ حاول أن ينشــغل باحصــاء عــدد الأوراق والأفرع فى شجر الكافور الملاصقة للبيت ٠٠ ماءت قطة فى مكان ما ٠٠ وخرجت امرأة بشكل مفاجىء من باب العمارة المواجهة ، سارت مترنحة ، منهكة ٠٠ وبصعوبة رفعت رأسها لأعلى ولوحت لصاحبها فى الدور الخامس ٠٠ ثم مضت مبتعدة ٠٠ لم يتوقف شريط الأحداث المفجعة ٠٠ لم يمل من حركته المخيفة ٠٠ حتى عنـــدما مدد ساقيه على المقعد الآخر فى البلكونة وأغمض عينيه وخيل اليه أنه نام ٠٠ وجـد جارته الجميلة فى التـاكسى تستنجد به ٠٠ وكاد يصرخ ٠٠ يستغيث ٠٠ يعلن ضعفه على الدنيـا ٠٠ ويتعرى من وقاره الـذى اشتهر به فى هذا الحى الشعبى على يمين شارع الهرم ٠

انه منذ عشر سنوات أو أكثر وهو يلتصق بهـذه الجدران فى هذا البيت ٠٠ فى هذا الحى ٠٠ منذ قـدم بسذاجة الريف وحـــذر الغجر ، اللذين امتزجا بدمه منذ ولد وكبر وجـاء ليدخل الجامعة ٠٠ ثم ٠٠ ثم ٠٠ لا يذكر الآن كيف ومتى عثر على هذا المسكن ٠

المهم الآن ٠٠ الا يتذكر ما حدث أمام عينيه للراكبة الجميلة ٠٠ لكن ٠٠ لكن كيف تمكن من هتك حرمة خوفه وفزعه اللـذين نخـرا جسده وعقله وقلبه ٠٠ وجعلاه خرقة مشبعة بالمهانة ٠٠ كيف جرؤ على الالتحام بجسد صفية والامتزاج معها فى لعبة الحب بشراهة ! ربما لأنه أراد الهروب كما [illegible]ح نفسه وربما لأنه كان يبحث عن الانتحار ٠٠ وربما لأنه [illegible] يريدها أن تخسر الرهان مع زميلاتها ٠٠ يكفى خاسر واحد فى بيته ثم ٠٠ هو فى حاجة الى فلوس الجمعية ٠

ولام نفسه لأنه أخفى عنهـا أخبـــار المصيبة التى حدثت له وأمامه ·· انه لم يكذب عليها من قبل كثيرا ·· لكن ياترى كم كذبة سيكذبها مضطرا لكى يغطى كذبة الليلة ؟!·

وصارح نفسه للمرة الألف هذه الليلة أنه جبان ·· وأنه نذل ·· وانه ليس شهما ·· وأنه تخلى عن أوجب الواجبات التىرضعها فى ريف قريته ·· واعترف بأن والده يوم ضربه كان يمارس هــذه الشهامة ·· فوالده الريفى لا يقبل أبدا أن يون هو ·· ابنه الوحيد ·· عاطف ·· ثورا طلوقا ·· يمتطى جسد أية فتاة وكل فتاة فى القرية ، ولذا فقد كان يستحق التأديب بعنف فعلا وتمنى لو أن والده قطع رقبته ·· قتله ·· كما يفعل أى غجرى أصيل مع ابنه الخائن ·· وكما كان يجب أن يفعل جده بوالده منذ سنوات ·· لو أن ذلك حدث لاســتراح هو من مذلة تلك اللحظة التى لا يعــرف الآن كيف ينساها ·· بل كان قد استراح تماما من كل شىء لأنه كان لن يولد أبدا !··

وفجأة هب واقفا وقد لسعه سؤال مخيف :

ـ ماذا لو كانت صفية مكان هذه الراكبة الحسناء ؟!··

صفية ·· زوجته ·· أو منى ·· ابنتــه لا ·· لا ·· لا ·· مليـــون لا ·· هز عاطف رأسه مرات عديدة لينفض عن نفسه شر هذا الكابوس الرهيب ·· لكن دماغه صــدم فى حافة البلكونة ·· فانحط على مقعده مذهولا ·· وبكى ·· اهتز جسده من عنف البكاء ·· ومنحته الطبيعة الصامتة من حوله ، حرية البكاء بمرارة ··

لقد بصق على نفسه يوم بكى أمام الجلاد فى ساحة السجن الحربى مرة ، وفى زنازين القلعة مرة عندما قال فى ارتعاش :

ـ أنا مليش دعوة بيهم يا بيه ·· صدقنى ·· ضحكوا على ·· دول كدابين ·· مهرجين !··

لقد كانوا على حق ·· هو يعلم هذا ·· قبل أن يستضعف أمام الجلاد ·· ويطلب منه الرحمة والعفو حتى لا يهتك عرضه !··

أشعل لنفسه سيجارة أخرى وشجعه صمت الكون فى لحظة ما قبل اشراق الشمس على أن يواصل اعترافه ·· وبحث عن لحظات ضعفه المتكررة منذ أغلق أبواب شجاعته أمام الجلاد وفتح على نفسه أقسى أبواب الحياة ·· باب العجز المتصل ·· اعترف أيضا أنه منذ تزوج صفية وهو يقوم بأكبر عملية هروب رسمها لنفسه بدقة وعناية حتى وصل به الأمر الى أنه عجز الليلة عن مصارحتها بكل ما حدث له وللراكبة المسكينة ·· انه خدعها ·· ويخدعها كل يوم بل كل لحظة ·· ولم يحترم صدقها معه ·· وأنه يستغل موقف والده منها بنذالة شديدة ·· صحيح ان والده طلب منه بعناده الموروث أن يطلق صفية ليتزوج من ابنة عمته الغجرية ·· لكنه رفض يومها دون أن يهتم بالأسباب التى ذكرها له أبوه ، وظل يذكر المسألة لصفية لكى يشعرها بأنه يضحى ويستشهد من أجلها فيكبل بذلك ضميرها ، ويقوى نفسه أمام جمالها الطاغى وأحلامها الكثيرة الجامحة ·· انه يريد دائما أن يجبرها على أن تظل على حبها وولائها له و ·· وعجز عاطف على أن يبصق على نفسه لأنه كان قد تعلم حكمة المدينة ودرسها العظيم ، وهو أن يتقن لعبة التبرير ·· وأن يبرر لنفسه كل الأخطاء الصغيرة والكبيرة ·· و ·· ارتعش فجأة ·· عندما تناهى الى سمعه صوت صفية ··

عاطف !·· أين أنت ؟!·· ثم صار صوتها أوضح وهى تقترب منـه تغالب النوم وتقول :

ـ تصور ·· تذكرت الآن فقط أننى لم أخبرك بشىء هام !··

ارتبك عاطف ·· كانت اعترافاته لنفسه قـد وصلت به الى حافة اليأس ·· لكنه مع ذلك هـرول اليها شاحبا ·· ضـعيفا ·· متهـالكا ·· وقال : هل أيقظتك الكوابيس مرة أخـرى ·· لابد أن تذهبى لطبيب نفسانى ·· قالت بمرح :

ـ اعـذرنى يا عاطف ·· صـحوت من النوم مفزوعة لأننى نسيت أن أخبرك بما حدث ·· وأنت السبب ·· فقد لخبطتنى عندما عدت لى مجروحا وكأنك مضروب ·· المهم ·· تعال لكى أحكى لك !

★ ★ ★

الفصل الثالث

فوق جـــدار الصالون ، تعلقت لعبــة من الجبس ، وكــانت اللعبة ، لعروس تمتطى قردا من الخشب الدهون بالأسود والأحمـر الفاقع ، وتحتها مباشرة جلسـا مرتبكين فوق السـجادة ٠٠ قالت صفية وهى تسند رأسها الى صدر عاطف ، وتدخن معـه سيجارته بحب ودلع وطفولة :

– تصـور يا عطوفتى !٠٠ اكتشفت اليـوم ان ابن خالى ٠٠ مليونير ؟!٠٠

قال عاطف بصوت مهزوم :

– حلم جميل ٠٠ أو كابوس يتمنـــاه كل الفقراء فى هـــذا العالم !٠٠

وتنهد واضاف : اللهم اجعله خيرا ٠٠وساعدنا على ســداد ديوننا ٠٠

قالت باستغراق شديد ، كعادتها كلما اخترعت حلما جديدا :

ـ لقد زارنى اليوم فعلا فى مكتبى ٠٠ وقابل مديرنا المسئول ايضا ٠٠ وأوصاه بى خيرا ٠٠ وقال له : « صفية ابنة عمتى وهى مثل اختى الصغيرة » ٠٠ تصور ٠٠ لقد فرح الاثنان بوجودى بصورة أدهشتنى ، وقالا انه من حسن حظهما أننى هنا فى هذه الوزارة بالذات ، وكانت فرصة نادرة انتهزها مديرنا النشط فأخذ يلقى قصائد المديح فى أخلاقى وأصلى الكريم وهمتى فى العمل و٠٠ تصور ٠٠٠ أحدهما المدير المسئول الذى لا يهبط من دوره السادس الى دورنا الأرضى الا فى النادر جدا ٠٠ والآخر هو ابن خالى هذا الذى ظهر بالصدفة فى تلك اللحظة ٠٠

قال عاطف بملل :

ـ اختصرى من فضلك ٠٠ فأنا شديد التعب !٠٠

قالت وهى تمنحه قبلة :

ـ اصبر ٠٠ لقد أدهشنى فعلا أن المسألة جد ٠٠ فالمدير أصدر أوامره العاجلة بضرورة نقلى من ادارة شئون العاملين الى منصب وكيل ادارة الخدمات الخاصة بتصاريح الاستيراد والتصدير الى جميع أنحاء العالم ٠٠ تصور ؟!٠٠

هز عاطف رأسه بملل ، وقال بمرارة :

ـ عظيم ٠٠ أنصحك بالبحث عن قارئة بخت ذكية تقرأ لك طالعك ٠٠ حتى لا تصدمى بالترقى الى منصب أكبر خلال شهر مثلا !٠٠

ضحكت وقالت بمرح طفولى :

ـ المدير وعدنى بعلاوة استثنائية بعد أن أثبت له أننى أستحق رضاءه ٠٠

كان عاطف يحتوى بنظراته كل كيان زوجتـــه ، كان يريد أن يكتشف آثار أصابع المدير على جلدها ٠٠ أو كأنه يريد أن يرى صورة ابن خالها ـ هذا المجهول ـ فى عينيها ٠٠ أو على شفتيها أو فوق جسدها ٠٠ وفجأة اهتز عاطف ٠٠ عندما اكتشف لأول مرة ـ منذ تزوجهـا ـ أن جسـدها شديد الاثارة ٠٠ وسألهـا بعنف مريض ، وصدى استغاثة الراكبة الحسناء يتردد فى وجدانه :

ـ صفية ؟!٠٠

ضحكت له بأنوثة تعرف هى مدى تأثيرها عليه جيداً ، وطوقته بذراعيها وواصلت منحه القبلات المتلاحقة ، وغمغمت :

ـ اسمع ، اذا كان خالى ٠٠ المستشار ـ لا يريد أن يعرفنـا ولايحب أن يفعل شيئا يخفف به من يتمنا وغربتنا فى القاهرة ٠٠ بل وينكرون وجوده اذا سألت عنه تليفونيا ٠٠ فاطمئن ٠٠ هذا ابن خالى ـ الآخر ـ يفتح لنا أبواب الأحلام المؤجلة ٠٠ دعنا نعيش يا زوجى العزيز ٠٠ وأعدك أننى سأرتب معه كل شىء و ٠٠

سألها عاطف بحدة ، وهو يهزها بعنف :

ـ ما هى الحكاية بالضـبط ؟ لقـــد زرت أمك فى الفيوم ٠٠ وعرفت الطريق الى قبر والدك هناك ٠٠ ولـكننى لم أتشرف برؤية أى أولاد لأخوالك أو لأعمامك ٠٠ حتى خالك هـذا الـذى صدعت رأسى بقولك انه مستشار كبير ٠٠ لم أسعد برؤيته أبدا ٠٠ ولا أعرف

اذا كان موجودا أم لا ٠٠ وحتى لو كان موجودا بالفعل فى مكان ما على ظهر الأرض ٠٠ فانه بالتأكيد سيكون مثل خالك الوحيد الذى تشرفت بلقائه يوم زواجنا ٠٠ ولابد أنه من نفس الطينة ٠

قالت صفية :

ـ لماذا أنت عدوانى ٠٠ هكذا ٠٠ أين قلبك الأبيض و ٠٠ هل نسيت أننا نحتاج لسيارة وثلاجة وسخان وتسديد الأقساط التى ٠٠٠

قال بقرف وصورة اللص يعرف مؤخـرة الراكبة الحسناء تتضخم أمام ناظريه :

ـ كفى عن كلامك اللين هذا ٠٠ وأخبرينى ٠٠ هل لك احوال غير ذلك الخال الذى اشترط لزواجنا أن تتنازلى له ولأمك عن حقك فى قطعة الأرض التى تركها لك والدك ؟!٠٠

قالت صفية :

ـ أكيد ٠٠ فكل امرأة على ظهر الأرض لها عدة أخوال وأعمام وخالات وعمات وأولاد خال ٠٠ وبنات عم ٠٠ و ٠٠

قال عاطف :

ـ على العموم ٠٠ أنا صارحتك من قبل باحتقـارى لأقاربك جميعا ، وهأنذا أكرر احتقارى لهم ولمن يستجد منهم ٠٠ وبالمناسبة فاننى أيضا أكره السيدة المحترمة أمك لأنهـا وافقت على جشـع خالك وطمعه فى أرضك ٠٠ ولكن ٠٠ صـارحينى ٠٠ هل انت ابنة شرعية لهذه الأم ٠٠ أم انك لقيطة ؟!٠٠

صاحت صفية بقرف :

ـ عاطف !٠٠ أول مرة تهيننى !٠٠

قال عاطف والمرارة تثقل لسانه وتنز فى فمه :

ـ لا ٠٠ ليست أول مرة ٠٠ وعلى كل ٠٠ هذه مسألة أخرى ٠٠ المهم الآن ٠٠ حدثينى عن ابن خالك هذا ٠٠ المليونير الذى ظهر لك فى بدروم الوزارة وكأنه مارد خرج من مصباح علاء الدين ٠٠ اين كان كل هذه السنين الطويلة ؟٠٠ وكيف تركنا ٠٠ هذا القاسى ٠٠ وحيـدين فقيرين وسط الغـــابة ؟!٠٠ أليس قاسيا حقـا ؟٠٠ ما اسمه ؟!٠٠

قالت بعد لحظة تردد :

ـ اسمه ٠٠ سيد ٠٠

قال :

ـ الاسم الثلاثى من فضلك ٠٠

قالت :

ـ السيد عطية منصور حدايه !٠٠

ضحك عاطف كثيرا ٠٠ وجد نفسه يصدق تخاريف زوجته ٠٠ قال :

ـ شىء غريب فعلا ٠٠ لقد هددنى خالك عطية منصور حداية بكل من يعرفهم من خفـــراء القرية وبعضـــو مجلس الشعب عن دائرتكم ٠٠ وبمن يزعم أنه يعرفهم من الوزراء فى كـل عهود ثورة

١٩٥٢ ٠٠ وكبار القوم الذين عرفهم جدك فى ثورة ١٩١٩ ٠٠ كما لم ينس أن يلطمنى على وجهى بالجريدة القديمة التى نشرت صورته وهو يصافح محمـد نجيب يوم نجحت الثورة وحـكى لى كيف أنه حمل جوالا من الأرز وقفصا كبيرا ملأه ببط ودجاج الفيوم الشهير ، وكيف أن محمد نجيب قال له : ان النبى قبل الهدية ٠٠ ثم سمح له بأن يسجل هذا اللقاء التاريخى فى صورة تذكارية ٠٠ ثم أراد أن يثنينى عن الزواج منك ، بصوره مع بعض أعضـاء مجلس الثورة ـ الذين صاروا حكاما للبلد بعد نجيب ـ يوم زاروا الفيوم مع قطار الرحمة ٠٠ وسط نجوم الغناء والسينما ٠٠ وأقسم لى برحمة والدك أنت ـ الذى كان قـد دفن قبل ذلك بشهر واحد ـ انه ووالدك قـد تبرعا بأكثر مما تبرع به كل وجهاء الفيوم والوجه القبلى مجتمعين ٠٠ لقد تفاخر بكل شىء وجعلنى فعلا أخاف وأبتلع رغبتى فى الزواج منك ٠٠ لكنك أصررت وكنت عظيمة وشجاعة فعلا وأنت تواجهينه هو وأمك ٠٠ اللذين جعلانى أزدرد احتجاجى وأنت تتنازلين لهما عن كل الأرض والبيت وبقية الميراث ٠٠

ومع ذلك ٠٠ فان خالك المحترم لم يذكر ابنه هذا ٠٠ لم يشر اليه أبدا ٠٠ هل نسى خالك أن له ابنا مليونيرا يا صفية ؟! ٠٠ أم أن هذا « السيد حداية » هو ابن خالك من امرأة أخـرى فى مدينـة أخرى ؟! ٠٠

قالت صفية بلا مبالاة :

ـ هذا جائز جدا ٠٠ فلا غرابة اذا كان خالى رجلا مزواجا ٠٠ وله فى كل محافظة زوجة أو أكثر ٠٠ هه ؟! ٠٠

سألها عاطف ، وقد اندمج فى المهزلة وانشغل بكل تفاصيلها :

ـ ماذا ؟ ٠٠

ثم أضاف :

ــ اذن فخالك عطية هذا ، كان محظوظا أكثر منى ، وكانت له عشيقات فى مكان ما من القاهرة ؟٠٠

صاحت صفية فى ألم واضح :

ــ عاطف ؟!٠٠ انك لم تكن هكذا أبدا ٠٠ ماذا جرى لك ؟!٠٠ لا تجعلنى أندم على مصارحتك بكل شىء ؟٠٠

ضحك عاطف هازئا وسألها :

ــ بكل شىء ؟!٠٠ أحقا ؟!٠٠ انك اما غبية ٠٠ أو غشيمة ٠٠ لا تعرفين بعد كيف تغطين طموحك ٠٠ لكن لا تحزنى ٠٠ ان هــــذا يحدث لبعض الزوجات المحترمات أمثالك ٠٠ يتعرضن للاغراء ٠٠ وقد ينحــرفن ٠٠ ثم يلفقن الأكاذيب ٠٠ ولــكن سرعان ما ينكشف أمرهن ٠٠ ويؤرقهن النــدم ٠٠ فتصحو احداهن مفزوعة من النوم ــ برغم ما تجرعته مع زوجها من كؤوس اللذة حتى الثمالة ــ فى ذات الليلة لكى تفاجىء زوجها بأنها نسيت أن تخبره بشىء هام ٠٠ وليتك تعترفين بكل شىء يا صــفية ٠٠ اننى على اســتعداد ــ الآن فقط ــ لأن أعفو عنك وأغفر لك كل ما تندمين عليه ٠٠ هه !٠٠ هيا ٠٠ أريحى نفسك من تأنيب الضمير ٠٠ اعترفى لى بأنك خدعت فى ذلك الكلب الــذى كذب عليك وأوهمك بأنه ابن خالك الســيد عطية حداية ٠٠ عين أعيان الريف الفيومى ٠٠ أو ربما صور لك أنه زميل دراســتك ، وكان يحبك من بعيــــد لبعيــد ، وهو حزين يتــألم لأنك لا تلاحظين حبه لك ، فى غمرة انشغالك بحبى أنا ٠٠ هه !٠٠ قولى يا حلوة ٠٠ لا بأس أن تعترفى الآن بأنك خدعت بحبى أنا ٠٠ أو انك صدمت بشخصيتى المهتزة ٠٠٠ وضقت بعجزى عن تحقيق أحــلامك

الطموحة ٠٠ وانك حاولت تصحيح مسارك ٠٠ وبحثت عن حب قديم ضائع فى حياتك الماضية ٠٠ وانك احترت فى أمر تغطية هذه العلاقة السرية بينك وبين الحبيب العـــاشق وسرعان ما اكتشفت أن الأمر لا يحتاج الى اكثر من كذبة عادية وبسيطة وهى أن تقول لزميلاتك وزملائك أن « سيد » هذا هو ابن خالك ٠٠ أو ابن عمك ٠٠ لتغطى عملية حضوره اليك فى مكان عملك ٠٠ ثم ها أنت ٠٠ تنسين حذرك ٠٠ وتعتـــادين اكاذيبك ٠٠ وتريدين أن أصدقك ٠٠٠ وأن أرحب به فى بيتى لكى يتاح له بعد ذلك أن يزورك هنا بلا حرج ٠٠ أليست هـــذه هى القصة على وجه التحـــديد ٠٠ يا حلوة الحلوين !٠٠ تكلمى !٠٠

صرخت صفية بقرف :

ـ لولا اننى اعرف كم تحبنى ٠٠ لو لم أكن واثقة من احترامك لى ٠٠ لقتلتك الآن بيدى هكذا ٠٠

وامتدت أصابعهـا الرقيقـــة الطويلة ذات الأظافر المدببـــة المدهونة ، وضغطت على عنقه بعنف ٠٠ وهى ترتعش وتلهث ٠٠ ثم تراخت وقبلته وبكت كطفلة ٠٠ تاهت فى الظلام فجأة وقالت :

ـ انك تجرحنى ٠٠ تتهمنى بالخيانة بعد كل هذا الحب والصبر معك ؟!٠٠ لماذا يا عاطف ٠٠ لماذا ؟!٠٠

قال عاطف بانهيار :

ـ لأنك لم تحبكى قصتك عن ابن خالك !٠٠

قالت :

ـ وهـــل تظن أن أية زوجـة فى حـاجة الى تلفيق القصص

والأكاذيب لكى تخون زوجها ؟!٠٠ أبدا ٠٠لا٠٠أعلم اذا كنت ماتزال ساذجا وعبيطا ٠٠ ان الخيانة ـ للأسف ـ سهلة ميسورة ٠٠ طوال الليل والنهار ٠٠ وأنا أعرف زميلة لنا تمارس الخيانة فى مكتبها ٠٠ وأمامنا جميعا ٠٠ عندما توجه نظراتها عبر المكتب لتداعب زميلها وتثيره حتى يلهثا معا ٠٠ تصور !٠٠

تقيأ عاطف فجأة ، وأحداث اغتصاب الراكبة الحسناء تندفع الى رأسه بعنف وتصيبه بالجنون فصرخ :

ـ اخرسى !٠٠

دوت صرخته فى الغرفة التى تسلل اليها ضوء الشمس ورددت رجع الصرخة جدرانها الأربعـة ٠٠ وهلعت الصـغيرة « منى » ٠٠ وبكت باندفاع شديد أسرعت اليها صفية ٠٠ وأعطتها الرضعة فى صمت كئيب ٠٠

ثم قالت :

ـ لقد حصلت على ترقيـة اسـتثنائية أمس ٠٠ ولا تفتح لى محضر تحقيق لتعرف كيف ولماذا ٠٠ و

قال عاطف :

ـ لو كنت أنا مديرك لفعلت أكثر من ذلك ٠٠ فأنت مثيرة حتى فى أوهامك المجنونة !٠٠

وأشعل لنفسه سيجارة وحاول أن يعتبر كل ما حدث حلما أو أثرا من آثار الحمى التى كانت تجتاحه فى الماضى كلما وقع فى ورطة حرجـة ٠٠ لكن صفية أخذت تلم شـعرها الطويل فى « ايشارب »

فاقع اللون ، وهى تتمدد بجواره ، وتضع رأسها على ذراعه وتهتز معه ٠٠ وهى تقول :

ـ كان سيزورنا يوم السبت ٠٠ بعد غد لكننى اقترحت عليه أن تكون الزيارة غـدا ٠٠ أقصـد اليوم ٠٠ الجمعة ٠٠ لأننى ٠٠ بينى وبينك يا عاطف ٠٠ أريد أن أعد له غذاء شهيا يحلف به العمر كله ٠٠ ثم قل لى ٠٠ ماذا تريد أن تأكل أنت ؟!٠٠

قال عاطف :

وقد أراد أن يتسلى بهذه اللعبة الجديدة ٠

ـ المهم هو ٠٠ من هو الذى سيزورنا ٠٠ ابن خالك أم سيادة المدير الذى ٠٠

قالت :

ـ لابد أنه زهق من الديوك الرومى ٠٠ والبط الفيومى والبكينى ٠٠ ولابد أنه يشتاق الى طعام شعبى ٠٠

ثم نهضت ، وقالت :

ما رأيك ٠٠ الكوارع ترم الجسم وتزيد من حيـويتك يا زوجى العظيم ٠

ضحك عاطف بمـرارة وهمس لنفسه ، لو كان الأمر بيـدى لأخذتك الى « مستشفى المجاذيب » ٠٠

لست شفتيه بلهفة ٠٠ وعاد يهمس :

ـ ان زوجتى المسكينة فى حاجة الى حلم وردى مثير تهـــرب اليه مما نعانيه معــا ٠٠ انهــا فى حاجة الى عالم آخر من صــنع خيالها ٠٠ وهذا هو الأرجح !٠٠

سألته :

ـ ما رأيك يا عطوفتى ؟!٠٠

قال :

ـ اننى أعترض بشدة ! ٠٠

قالت :

ـ على الكوارع ؟!٠٠

قال بقرف :

ـ على زيارته لك هنا ٠٠ اسرعى الى تليفون البقــال المجاور ٠٠ واتصلى به ٠٠ واجعليه يزورك غدا ٠٠ بعد أن أسافر وأترك لك وله مصر كلها ٠٠

ضحكت ساخرة ، وقرصته بعنف فى فخذه ، وقالت :

ـ أحذرك ٠٠ لا تجعلنى أصدق أنك تتهمنى بالخيانة ٠٠ ثم٠٠ لا تنس انه جعــل الوزير يوافق على ترقيته ٠٠ وسيزيد مرتبى ٠٠ ثم ٠٠ وهذا هو الأهم ٠٠ سوف يدبر لنــــا السفر الى الكويت أو الخليج ٠٠ أو ايران ٠٠ أو أى بلد أوربى ٠٠ الأمر متروك لاختيارنا أنا وأنت ٠٠ والسفر الى الخارج صار رهن اشارتنا اذا ٠٠ اذا ٠٠

سالها :

ـ ابن خالك ·· أم ·· سيادة المدير ·

قالت وهى تتأمل جسدها أمام المرآة بعيون راضية :

ـ يملك شركة ضخمة للاستيراد ·· وكمية التصاريح التى وقعها له المدير امس وسلمتها له بنفسى ، تعلن عن مدى نفوذه وتعدد أعماله ·· و ··

صاح عاطف :

ـ فكرة مدهشة فعلا ·· هذه الكوارع لها شأن عظيم !··

وصفع فخذى زوجته بيده عدة مرات بقسوة ، وبذل جهدا ليتغلب على اثارتها له ، وهى تواجهه قائلة :

ـ اذا نجحت انا فى خطتى فانك ستكون المستفيد الأول ·· على الأقل ستسدد جميع ديوننا و ··

و ·· أخذت تحاول معه من جديد ·· فسخر منها قائلا :

ـ هل هناك رهان آخر مع زميلاتك ؟!··

قالت :

ـ عندما ترى بطاقته سوف تتأكد من انك كنت نذلا لأنك شككت فى اخلاصى لك ·· وسأجعله يقدم لك شهادة ميلاده لكى تطمئن على أنه فعلا من عائلة حداية ·· هه ·· ارتحت ؟··

قال لاهثا :

ـ أتمنى أن يصدق أحد أحلامك ذات يوم قريب حتى يكون لنا شأن جديد فى هذا البلد ‥ سواء بمساعدة ابن خالك أو تشجيع مديرك ‥ ولا يهم الا شرط واحد ‥ هو مبادىء الأخلاق الكريمة .!

قالت صفية :

ـ أكيد ‥ لكن ‥ هل تعرف أننى منذ اعتقلوك مرتين أيام الجامعة ‥ وأنا أحلم بشىء واحد فقط ‥

سألها :

ـ وما هو ؟!‥

قالت :

ـ أن يكون لنا ظهر قوى يحمينا ‥ حتى لا نضرب مرة أخرى على بطوننا ‥ وخصوصا أن البعض يدمن الضرب أسفل البطن والظهر أيضا ‥ تصور ؟!‥

نظر اليها عاطف بلا مبالاة وقد صار عسيرا عليه أن يعرف ما اذا كانت تحلم أم تقول الحقيقة ‥ أخيرا قال فى ارهاق شديد :

ـ هه ‥ سوف نرى ؟!‥

واغمضت عينيها وهى تتصور منظر عاطف عندما يكتشف الحقيقة !‥

★ ★ ★

الفصل الرابع

ارتدت صفية ثياب الخروج ٠٠ المحتشـمة ٠٠ فبـدت زوجة مثالية ، فى جمالها ، وان كانت قد تركت شـــعرها الأسود الطويل ينسدل فى اثارة على كتفيها وظهرها ٠٠ وربطته بشريط أبيض زاد من تبعثره واثارته ، وتعلقت بعنق عاطف ونظرت اليه طويلا بعينيها العسليتين الشـهيتين وتبـادلا قبلتين سريعتين ، وامتدت أناملهـا وداعبت شفتى الطفلة ، وتحسست « الرضاعة » وتأكدت أنها لاتزال دافئـة ٠٠ وألصقت صدرها النـاهد بصدر زوجها ، وحركت يدها على ظهره مرتين فأثارته ، واستدارت بدلال شديد فضمها بذراعه الخالية بعنف ثم قبل شعرها وهو يقول :

– ابقى أنت مع هذى ٠٠ وأذهب أنا الى السوق ٠٠ واســدد الأقساط ٠٠ وأشترى كل ٠٠٠٠

قالت بمرح :

– لا تعرف كيف تشترى أى شىء ٠٠ خصوصا الكوارع !٠٠ ثم انك لا تعرف بائع السجاد ٠٠ ولا بائع الموبيليا ٠٠ والغسالة ٠٠

ولا بائع النملية والبوتاجاز والصينى وتاجر الأقمشة ومحل الساعات الذى ....

قال لها :

ـ بالمناسبة .. كم عدد الذين لهم أقساط ؟..

قالت :

ـ انهم بعدد كل شىء موجود فى بيتنا وعلى أجسامنا ..

قال :

ـ لكن .. الخروج خطر عليك ..

قالت :

ـ لكننى اخرج كل يوم .. واشترى كل شىء .. و .. و ..

كان يحاول أن ينسى ما حدث للراكبة الحسناء .. لكنه فشل .. اهتز .. تشبث بذراع صفية ، الح عليها أن تبقى ولا تخرج .. لكنها استدارت وواجهته بالتصاق اكثر ، وهى تقول :

ـ يا رجل .. الا تشبع .. البنت ترانا وتضحك منك .. دعنى أخرج .. ولن أتأخر عليك ..

قال بلهفة وقلق وخوف :

ـ لكن ..

قبلته وقالت :

ـ أنا أيضا أشتاق لك الآن ·· لكن لابد ان أسدد الأقساط فى موعدها والا جاء التجار وجردونا من كل شىء ·· وأعدك ·· عندما أعود سأبقى بين احضانك حتى بقية العمر ·· اطمئن !

وضحكت ·· وفتحت الباب ·· ونظرت اليه ·· وغمزت بعينها ·· وأخرجت لسانها له وللطفلة وابتسمت ابتسامة حانية ودودة صافية ومثيرة وأغلقت الباب خلفها ، وتردد وقع قدميها على درجات السلم للحظات ثم ·· هرول عاطف والطفلة على ذراعه ، الى البلكونة وأطل على الشارع وظل يرقب صفية ، وهى تتجه شمالا وتمر أمام البقال ، والعجلاتى وتصعد على الرصيف لتتفادى سيارة مندفعة ثم تتجه يمينا الى شارع الهرم وتختفى فى ظل العمارة الجديدة ، وهناك ·· يعرف عاطف جيدا ، توجد محطة الأتوبيس ، وتتوقف أحيانا سيارات التاكسى ·· وتتسكع العربات الملاكى حيث يلتقط أصحابها بعض المحترفات من سيدات وبنات الأحياء الراقية والشعبية على جانبى الشارع و ··

كاد يصرخ ، وقد داهمته أحداث الأمس الرهيبة ·· وقفزت أمام عينيه صورة الراكبة الحسناء ، ذات الوجه المستدير كالبدر اذا صار لونه فضيا وذهبيا وورديا وساحرا ، ثم وجه صفية ·· الخمرى وأخذ يقارن بين الشعر الذهبى والشعر الأسود ·· والوجه الأبيض الوردى ، والوجه الخمرى الدافىء ·· والأنف الرومانى ، والأنف الفرعونى ·· والعيون الرمادية الساحرة ، والعيون العسلية الصريحة ، والعنق والصدر ··· و ··· و ··· و ··· ··· و ··· و ··· والتى تعرت بيد اللص وانهار جالسا على أول مقعد فى الغرفة ·· وضم منى بعنف الى صدره ، فصرخت الطفلة وبكت ، فارتبك وألقمها حلمة الرضاعة وهزها بحنان وضعف حتى

سكتت ٠٠ واكتشف أن العرق يبلله ، والضعف يشتد عليه ، فخاف الموت وخاف من ذكرياته ، أيام السجن ٠٠ فنهض مهـرولا ٠٠ أراد أن يتشبث بأى شىء يشـغله عن نفسه ٠٠ وضع منى فى عربتهــا الهزازة ذات العجلات ودفعها أمامه الى المطبخ ٠٠ وانشغل بغسل الأطباق واعداد الأرز ٠٠ لكى تجد صـفية كل شىء معدا لاتمــام الوليمة لابن خالها الذى سوف يفعل المعجـــزة ، ويزرع لعــاطف جناحين يطير بهما بعيدا عن مصر كلها ٠٠ وبعيدا عن كل الذكريات الحزينة و ٠٠ لن يرى أحداث امبابة بعد ذلك ٠٠ أكيد سوف ينساها ٠٠ وينسى قدم السجان التى ضربته بين فخذيه ٠٠ وينسى حــذاء الجلاد الذى أجبروه على أن يلعقه بلسانه فى لحظات خوف داعرة، زلزلت بقايا كبريائه وملأته بالخوف حتى صار مثـل المستنقع الذى دعا زملاءه فى الجامعة الى معاونته فى ردمه كمحاولة منه لاسترداد ثقتهم التى فقدها فى اعتقاله الأول ٠٠ وحفـــاظا على صحة أهـل قريته ، وتمهيدا لاقامة مستشفى أو مدرسة على أرضه المستصلحة ويومها أحس بأنه قد كبر فى نظر زملائه وفى عينى أبيـــه وطاولت أحلامه عنان السماء ، لكنه ما أن بدأ فى تنفيذ فكرته حتى هاجمهم أحد الكتاب الطامعين فى خطف منصب كبير ٠٠ واتهمهم بأنهم خليط من جماعات الاخوان المسلمين ٠٠ والشيوعيين المنحرفين المخربين و ٠٠ وقــال : « انهم دائمـا يفعلون ذلك ، يقيمون المشروعات ، أو ينظفون القرى ويمحون الأمية ، تمهيدا لزرع المبادىء الهدامة ٠٠ ان هـؤلاء القلة من الشـــباب هم من منحرفى اليســـار واليمين أيضا » ٠٠ ولم يجد عاطف الفرصة أبدا ، لكى يقول لهـذا الكاتب المنحرف المزاج دائما ، ولغيره من رجال السلطة ، انه هو شخصيا ــ عاطف عبد العزيز السـيد أبو النجــا ــ لا يعـرف أى أحد من الشيوعيين ، بل انه كان ذات يوم عضوا بجماعة الاخوان المسلمين، يتعلم آداب القرآن الكريم ، ويدرس الأحاديث النبوية الشريفة ، وأنه

ازداد اعجابا بعمر بن الخطاب وأبى بكر الصديق ، وعثمان بن عفان وعلى بن أبى طالب ، وابى ذر الغفـارى وأسماء بنت أبى بـكر ٠٠ وعائشة ٠٠

ولكنه لسوء حظه ، ترك كل هذا فجأة عندما كان فى الثـانية عشرة من عمره وذهب مع زمـلائه بأولى اعــدادى الى ســينما الدمهوجى ليشاهدوا فيلما ترقص فيه تحية كاريوكا وسامية جمال ، وأنه أدمن مشاهدة الأفلام من يومها ، وكان يسرق كثيرا من الـذرة ويبيعها الى البقال لكى يجد ثمن تذكرة السينما لكى يرى مغامرات « زورو » ٠٠ و « طرزان » فى الأدغال ٠٠ وانه لهذا السبب وحده ، منع من دخول مقر الاخوان المسلمين فى قريته لأنه « مستهتر » و ٠٠ حتى عندما جاء أحد رجال الثورة ـ فى تلك الأيام ـ ليزور أعيـان القرية ويحثهم على التبرع للنهوض بمستوى المعيشة للأهالى ٠٠ وأقيم له حفل دينى كبير فى مقر جمعيـة الاخوان ٠٠ يومهـــا ظل عاطف عبد العزيز أبو النجا واقفا يتفرج من بعيد ٠٠ بعد أن تضخم فى وجدانه اتهـامه بالاستهتار ٠٠ وليلتهـــا ذهب مع بعض اقرانه لمعاكسة البنـات خلف السرادق الكبيـر المقـــام للحفل الخطير ٠٠ واستطاع مع زميلين له أن يفوزوا بالذهاب مع البنت « بهية بنت أم بهية » اشهر بائعات الهوى فى القرية ، ذهبوا معها الى غيط الذرة وأعطوها كل ما معهم من قروش لكى تلعب معهم « عريس وعروسة » ٠٠ وهو الآن يعرف تماما أنه ـ وزملاءه ـ كانوا لا يملكون يومذاك أى شىء من الذكورة التى تشبع فتاة مثل بهية التى صارت بعد ذلك ذات شأن فى مهنة أمها ٠٠ وقد عرفها كثيرا بعد أن دخل الجـامعة ولكنه أبدا لم يعرف أى شىء عن هذا الوباء المعـدى الذى يسـمونه الشيوعية ، وأكيد توجد لدى جميـع الادارات فى مصر ، معلومات دقيقة عن أصله وفصله وميوله وربما غرامياته واستهتاره ٠٠ لكنه

لم يكن أبدا من الذين يفقهون شـيئا فى ٠٠ المبـادىء الهدامة ٠٠ و ٠٠ وأنكسر الطبق محدثا دويا رهيبا أفزع منى ودفعها الى البكاء ٠٠ أسرع يسكتها برضعة أخرى ، ثم جمع بقايا الطبق وركنهـــا بجوار الحائط ، وحمد الله على أنه قبل أن تمر سنة على علاقتـــه بالبنت بهية ، والحفل الدينى الكبير لمندوب الثورة ، اكتشف أنه كان محظوظا بالتأكيد لطرده من جمعية الاخوان بتهمة الاستهتار ٠٠ ذلك أن الحكومة حلت هذه الجماعة ووجهت لها تهمة محاولة قتل زعيم الثورة و ٠٠ ضحك عاطف بعصبية وهو يتذكر وجه الجلاد يوم أخذه مع زملائه من أرض المستنقع الذى يردمونه الى السجن مباشرة ليتهم بمحاولة قتل نفس الزعيم ٠٠ شيء سخيف حقا ٠٠ لكنه لا يعــرف متى يجد من يعطيه الفرصة لكى يشرح له كل هذه الأمور ، ويجعــله يوضح موقفه بالأمس ٠٠ وأنه لهذه الأسباب وغيرها كان مشلولا أمام اللصوص الذين سرقوه وسرقوا واغتصبوا الراكبــة الحسناء فى عز الظهر ٠٠ ثم ٠٠ انه واثق الآن من أن كل ما قالته صفية فجر اليوم وصباحه عن ابن خالها ، ما زال فى حاجة الى توضيح و ٠٠ هل هو حقــا ابن خالها ٠٠ أم أنه عشيق لها ؟٠٠ ثم ٠٠ ماذا يمنع أن يكون عاشقا لها حتى لو كان ابن خالها ؟!٠٠ و ٠٠ ضرب رأسه فى الحائط وأشعل لنفسه سيجارة ، ومضى ينظر الى وجه منى ٠٠ وتسلل اليه شعور طفيلى مدمر بأن منى ٠٠ ربما لا تكون ابنته هو٠٠ و ٠٠ تلوى من الألم ومد يده الى الطفلة وحملها ٠٠ فوجدها تبتسم له ببراءة ٠٠ وتخمش وجهه بأصابعها الصغيرة فأغمض عينيه ، وتساءل فى حزن :

أما من شيء يحول بينى وبين هذا الجنون الذى يجتاحنى من كل الجهات ٠٠ أما من شيء ؟!٠٠

ثم ٠٠ وبشكل مفاجيء وغامض ، هتف :

ـ لماذا كل هذا ؟!٠٠

وتضاعف احتقاره لنفسه ، لأنه تنبه الآن فقط الى أنه نسى أن يلتقط نمرة التاكسى ٠٠ وازداد خجله ، عندما صارح نفسه بأنه حاول ذلك ٠٠ عندما رماه اللصوص فى ميدان الكيتكات ، عند محطة الترولى ، حاول أن يلتقط رقم التاكسى ليبلغ عنهم البوليس ولكنه كان قد امتلأ حتى حافته بالخوف والرعب و ٠٠ همس لنفسه وقتها :

ـ لا يهم أبدا ٠٠ لا يهم ٠٠ فالراكبة الحسناء قادرة اذا كانت لاتزال على قيد الحياة أن تبحث عن حقها الذى ضاع ، وأن تدين من تشاء ٠٠ وانه ليس فى حاجة الى أن يجدد علاقته بالماضى أبدا ٠٠ فهو حتما اذا ما ذهب الى البوليس شاكيا همجية اللصوص ٠ فسوف يثير شكوكهم وحتما سوف يكتشفون أنه كان ذات يوم نزيل أحد المعتقلات و ٠٠ ولكن ٠٠ صفية ٠٠ هل هى قادرة على النجاة بنفسها من طوفان الخطر الذى يملأ الشوارع ؟!٠٠ ازداد فزعه ٠٠ وظل يترقب فى توتر قاتل !٠٠

★ ★ ★

الفصل الخامس

طال وقوف صفية على رصيف شارع الهرم ٠٠ وقالت لنفسها انه ما كان يصح أن تكذب على عاطف ٠٠ وعزمت على أن تصارحه فور عودتها ٠٠

أمامها مباشرة كازينو ٠٠ أنواره مطفأة ٠٠ وحارسه منهمك فى عملية النظافة وكنس مخلفات السهرات الداعرة المعتادة ٠٠ وعلى مقربة منها مقهى بلدى مزدحم بسائقى عربات النقل ذات المقطورة التى تعمل فى نقل الأسمنت الى أرض المشروع الاستثمارى الجديد المجاور لهذه المنطقة السكنية ، وخلف عربات النقل تتوقف الأوتوبيسات المزدحمة ، ثم تواصل سيرها مائلة على جانبها الأيمن دون أن تتمكن من حمل مزيد من الركاب . وتكاثر وقوف التاكسيات القادمة من الهرم باتجاه الجيزة ، وصفية تتدافع مع حركة الركاب المنتظرين بضيق على الرصيف ، فى محاولات يائسة للتعلق بالأوتوبيس دون جدوى فتعود معهم الى الرصيف ، وهى تردد معهم — فى سرها — اللعنات التى تنزل على رأس البلد ومن فيها والزمن الأسود الذى جعل الحياة كريهة لا تطاق ، وأمامها جلست بائعة

فجل معها حمل ثقيل يحتاج فى ريف الفيوم الى حمارين لحمله ، وسمعتها تقول :

ـ المركب خربت من سنين يا غجر ·· ارحمونا وارحموا ارواحكم ··

فهمست لنفسها :

ـ احاول أن اخلق لى ولعاطف قريبا أو صديقا ليساعدنا على العمل فى الخارج ·· أو يسندنا فى الداخل ·

وتعالى صراخ احتكاك عجلات سيارة فارهة ، تحمل لوحة جمرك السويس ·· وصرخت فتاة صدمها رفرف السيارة التى لم تتوقف بل زادت سرعتها ، وصاح البعض : الحمد لله ·· جت سليمة ·· ونهضت الفتاة تعرج ، وتسابق اكثر من شاب ورجل للكشف على مكان الصدمة فى فخذها وابتسمت صفية وهى ترى الفتاة التى تجاوزت العشرين من عمرها كما يوجد بذلك جسدها ـ وهى لا تخجل من كشف فخذها على رصيف الشارع لكل من أراد أن يطمئن على سلامتها !··

وانتفضت صفية بذعر ، عندما زعق بائع لبن انكسرت دراجته وانسكب اللبن على الأسفلت ليعلن عن مضاعفة الخسارة لهذا البائع الذى لم يبع كل ما لديه هذا الصباح ·· وتساءلت صفية فى ضيق :

ـ ما هذا الشؤم على الصبح ؟!··

أخيرا توقف تاكسى به راكبان ·· ونجحت صفية فى الركوب ·· الى جوار السائق ·· وانطلق التاكسى نحو الجيزة ·· وانشغلت

هى بمشاهدة المناظر المكررة المملة على جانبى الشـارع ‥ وحرك سائق التاكسى المرآة الأمامية أصابعه الخشنة ، فأسرعت بدون تفكير أو خجل ، تنظر الى وجهها فى المرآة ، وتسوى شعرها ‥ولمحت وجه الراكبين خلفها ، شاب شعره طويل بدرجة ملحوظة ، ورجل أكبر من عاطف بخمس سـنوات ‥ وعلى رأسه عقـال ‥ وفى يده خواتم ذهبية ضخمة وسيجارة أجنبية رأتها تمتد بجوار أذنهـا وتلمس وجهها والسائق يمد يده ويلتقطها شـاكرا بامتنـان ‥ ثم يشعلها ويملأ الدخان كل الفراغ المحيط بوجهها ‥ فاحتملت ‥ ثم أخيرا ‥ توقف التاكسى فى ميدان الجيزة ، ودفعت نصف ريال للسـائق فرد لها شلنا ، وانطلق وهى تصعد بسرعة الى الرصيف وتتجه الى شارع سعد زغلول وتواصل سـيرها الى حلقة السمك وتشـترى قراميط صاحية ، و ‥ضحك المارة عندما انفلت أحدها من الشنطة المثقوبة وزحف كالثعبان على أرض الشارع وتجمع الشبان والرجال يحاولون مساعدة صفية فى امساك القرموط الشقى ‥ الذى نجح فى الوصول بسرعة الى غطاء المجارى وانزلق من ثقب ضيق به ، واختفى وسط تهليل وضحكات الذين حاولوا مساعدة صفية واحتكوا بهـا عدة مرات ‥ فاسرعت تبتعـد ، ومعهـا بقية القراميط ، ثم توقفت أمام المرأة السمينة التى اعتادت أن تشترى منها الكوارع ، واختـارت ما تريد وملأت « شـنطة السـوق » ببعض الخضروات واللفافات ثم صعدت سلما من ثلاث درجات وابتاعت كيلو ونصف من السردين والفسـيخ ، ثم هبطت السلم واشترت ليمونا وفجـلا وبصلا ‥وتوقفت فى محل خردوات واختارت فوطة وعدة مناشف ناعمة ، وغيـارين لزوجهـا ، ثم لمحت ألوانا زاهيـة وجـديدة « للكلوتات » ، فوضعت شنطتهـا فوق مقعـد بجوارها ثم فردت « الكلوت » باصابعها وتأكدت من حجمه وذوقه وأثارته ودفعت ثمنه وهى تضحك للبائعة التى أكدت لها أن « البيه سيكون سعيدا بذوقها

هذه الليلة ، فاحمر وجهها وخرجت بحملها الثقيل ، ولكنها عادت مهرولة فبادرتها البائعة بأن عندها عدة ألوان أخرى من الملابس الداخلية التى تليق بجمالها الـ ٠٠٠ فقالت لها بحزم أن تناولها ملابس تصلح لطفلة رضيع ٠٠ وانتقت غيارين لمنى ٠٠ وعادت الى الشارع وهى تبذل جهدا مضاعفا لتتحكم فى اللفافات التى تحملها على ذراعيها وصدرها ، وازداد لهاثها ، وسال عرقها واحست بازدياد درجة الحرارة ، وهى تحاول النجاة بنفسها من زحام الشارع ٠٠ ودفعت الأقساط للتجار ٠٠ واخذت منهم كمبيالات هذا الشهر ٠٠ وهى تحلم بنهاية هذه الديون ٠٠ وشراء سيارة ٠٠ و ٠٠ و ٠٠

و ٠٠ اخيرا وجدت فاترينة تعرض ماكينات حلاقة كهربائية ٠٠ فاشترت واحدة لعاطف ، واشترت أيضا معجونا للأسنان ، وعلبتى كريم لوجهها وانبوبة كريم جديد لازالة الشعر الداخلى ، واسرعت الى الميدان تبحث عن تاكسى يحملها الى البيت بأسرع ما يمكن لكى تتمكن من اعداد الغذاء لعاطف وتصارحه بأنها تفكر جديا فى الانفتاح على الأقارب والأصدقاء القادرين وأثرياء القوم لتكسر يتمها الاجتماعى ٠٠ ووقفت نصف ساعة على محطة الأتوبيس فى ميدان الجيزة ٠٠ وتذكرت يوم دعاها زوجها للغذاء فى احدى عوامات النيل وأكلت جيلاتى وشرب هو زجاجة بيرة ٠٠ وصارحت نفسها بأن فكرتها سخيفة وأنها قد تضعف ويجرفها التيار اذا صادفت أحدا من زبائن الوزارة !٠٠

أخيرا ٠٠ ترقف لاشارتها أحد التاكسيات ٠٠ فأسرعت تركب لتصدم أثناء ذلك بوجود راكب فى التاكسى ٠٠ ترددت لحظة ٠٠ لكن السائق كان قد مد يده بسرعة وأغلق الباب ٠٠ وحاولت هى الا

يلتصق جسدها بالراكب المجاور لهـا ؛ ٠٠ فالتصقت بالبـــاب ٠٠ وضايقتها « الشنطة » واللفافات الكثيرة ٠٠ فوضعتها ٠٠ بارتباك شديد على ساقيها وهزت رأسها لتسوى شعرها المهوش ، وحاولت التقاط نفسها ٠

وعند مسجد سيدى نصر الدين فى أول شارع الهرم ــ وبعد النفق مباشرة ــ توقف التاكسى وركب شاب شديد التعب ، كمـا تدل عليه ملابسه وذقنه غير الحليق ٠٠ انحط بجوار السائق الذى انطلق يزاحم التاكسيات والأوتوبيسات والعربات المـلاكى والموتوسيكلات والمشاه بجوار الرصيف ٠٠ ونظرت صفية الى جارها ٠٠ كان يدخن سيجارته فى صمت ٠٠ ولمحت نظراته مركزة عليها ٠٠ كان يتأملها بعناية ، وأحست بعينيه تتسللان الى تحت ثيابها وتلسعان جسدها ٠٠و ٠٠اهتزت « الشيل » فوق ركبتيها وسقطت أنابيب كريم الحلاقة وازالة الشعر من لفافتها فأسرعت تجمعها ، لكن يد الراكب أسرعت تساعدها فتبينت خاتما ثمينا باصبعه ٠٠ وساعة ذهبيـــة فى يده اليسرى ، وتلامست زراعها وأصابع الراكب، فارتبكت ، وسقطت لفافة « المناشف الناعمة » وازداد ارتباكها والراكب يجمعها لها ويتعمـد فردها واحدة بعد الأخرى ثم ابتسم ابتسامة كالحة فكشف مـلامح شرهة تغطى وجهـه وتطل من عينيـــه السوداويين ، و ٠٠ لاحظت ــ برغم ارتباكها ــ أنه فى مثل سن عاطف ٠٠ وان كان باديا عليه الثراء والجاه ٠٠ و ٠٠ والوقاحة ٠٠ وهو يقول :

ــ هناك مناشف من نوع حديث ٠٠ ربما لم تصل بعـد الى التاجر الذى تتعاملين معه !٠٠

ارتفعت يدها لتصفعه ، لكن يدها ارتعشت كما اختنقت كلمة « وقح ٠٠ قذر » داخل حلقها ٠٠ وفجأة توقف التاكسى عند الشارع

القريب من « الاوبرج » وهبط الراكب المتعب الـذى كان بجـوار السائق ، ثم اندفع التاكسى بسرعة أكثر ٠٠ وحاولت صفية أن تطلب منه أن يتوقف لتهبط ، لكنها خشيت أن يلاحظ الراكب خوفها وضعفها فيطمع فيها ٠٠ وحاولت أن تصبر وتحتمل ريثما تصل الى محطتها بعد محطة البيرة ٠٠ لكن التاكسى ظل مندفعا ٠٠ وتجاوز محطتها فمدت يدها بسرعة الى السائق وصاحت :

ـ هنا يا أسطى ٠٠ نزلنى !٠٠

لكن السرعة زادت أكثر ٠٠ ففتحت زجاج الباب المجاور لها ولفحها الهواء وبعثر صوتها وهى تكرر :

ـ أنا نازلة هنا ٠٠ وقف من فضلك !٠٠

لكن أحـدا لم يرد عليها والتاكسى لم يتوقف ٠٠ مدت يدهـا وفتحت الباب وهمت أن ترمى نفسها رغم سرعة التاكسى ، ولكن يد الراكب امتدت بسرعة اليها وأطبقت على ذراعها وجذبتهـا بعنف فسقطت بمؤخرتها على ساقيه ٠٠ ففزعت وأسرعت الى المقعـد فى ذعر ٠٠ وأخذت تحاول بذراعيها ٠٠ بقدميها ٠٠ بيديها ٠٠ أن تخلص نفسها من ذراعى الراكب ، بينما السائق يمد يده بسرعة ويحـكم اغلاق الباب ، ثم ٠٠ نزع « أكرة الباب » ٠٠ بينما ظل الهواء يندفع من النافذة المفتوحة ، وأخذ يطير شعرها الأسود حول وجهها و ٠٠ شفتيها وظل صوتها يصرخ :

ـ نزلونى يا أولاد الـ ٠٠٠٠٠

لكن أحدا لم ينجـدها ٠٠ ظلت السـيارات والأوتوبيسات تتسابق فى الشارع ٠٠ وصفية تبذل كل ما فى جسدها المرتعش من

قوة لكى تخلص نفسها ، لكن السيارة انحرفت يمينا فى طريق ترابى ملىء بالمطبات والحجارة ولمحت صفية سورا عاليـا خلفـه أشجار ونخلات بلح ، وسمعت زعيق الأوز فى ترعة على يسارها ٠٠ ثم ٠٠ وضع الراكب منديله على فمها ٠٠ و ٠٠ تدريجيا خفت صراخ صفية ٠٠ ثم تلاشى وكفت عن المقاومة ٠ بينما الراكب يقول للسائق :

ـ المره دى حظنا بمب يا صالح !٠٠

استدار السائق الى زميله ، وغمز بعينه فى رقاعة ، وقال :

ـ كـــان لازم تعوض الست بتاعة امبـــارح ٠٠ كانت مقلب وشربناه !٠٠

وبعد لحظة قال السائق فى وقاحة : ورينى عينة منهـــا ٠٠ خلينى أطمن !٠٠

وببساطة ، كشف الراكب عن صدر صفية ومزق «السوتيان» وداعب نهديها ثم رفعهما براحتيه وصاح :

ـ أسرع يا ولد الى عش الغـرام ٠٠ واستدار التـاكسى فى الشارع التالى وواصل الانطلاق !٠٠

★ ★ ★

الفصل السادس

كانت منى تصرخ وترفض الرضـاعة بعصـبية ·· رعاطف شديد الارتباك ·· يحاول اسكاتها ·· لكن دون جدوى ·· فحملهـا من فراشها وضمها الى صدره ·· وعندئذ اكتشف ان ثيابها مبللة وبسرعة فهم سبب غضبها وبكائها ·· وبهمة ونشاط اخذ يغير لهـا ثيابها ويرش البودرة على جسدها الضئيل ، ثم داعبها فأخذت تضحك وترفس الهواء بقدميها ويديها ، وتلاغيه بصوت غير مفهوم لكنـه لذيذ ·· فقبلها ·· ووضعها فى عربتها الصغيرة وأخذ يدفعها أمامه ويدور بها فى أرجاء الشقة الصغيرة ، وهو يرتب مقاعد الصالون، ومنضدة السفرة ، وبعض الأطباق فى البوفيه وصورة تذكارية له مع صفية وهى حامل ، وكانا يتنزها فى حديقة الحيوان ، ويتفرجان على جبلاية القرود ويعانيان من الخجل بسبب القرد الـذى يداعب احدى زوجاته بكبرياء وتغطرس ، وسط تهليل الشـبان والرجال ، وآهات الحياء من السيدات وصراخ بعض المراهقات ، ودهشة جميع الصغار الذين لم يكفوا عن بعثرة كل ما معهم من فول سودانى ولب وبالونات على قرود الجبلاية ·· كانت صـفية فى الصورة لاتزال

حاملا فى منى ٠٠ وبطنها منتفخة أمامهـا ٠٠ وغنى عاطف أغنية حب خاصة جدا علمتها له صفية يوم توطدت صداقتهما فى الجامعة وصارت حبا جارفا ٠٠ ثم دفع عربة منى أمامه الى المطبخ وبحث عن شيء يأكله ٠٠ وقلب « بلاص مش » فوجـــده فارغا تماما ٠٠ وتذكر الزيارة الأولى والأخيرة التى قام بها والده له بعد زواجه من صفية منذ عامين ٠٠ ووجد نفسه فجأة فريسة رغبة ملتاثة تدفعه للاعتراف ٠٠ قال لابنته :

ـ آه يا صغيرتى منى ٠٠ أتعـرفين ٠٠ اننى منـــذ تزوجت أمك ٠٠ وأنا محروم من هدايا أمى وأبى ٠٠ وأشتاق الى الفطيـر المشلتت والمش المعتق ٠٠ ان لك جدة اسمها سعدية ٠٠ يا منى ٠٠ وشهرتها فى البلد كلها ٠٠ الست أم عاطف ٠٠ فوالـدك المحتـرم يا صغيرتى ، هو ولى العهـد فى العـائلة الكريمـة ، ومازلت الولد الوحيد وسط اخواتى البنات انهن جميلات ولطيفات مثلك يا منى ٠٠ واكيد ستعرفينهن ذات يوم ٠٠ عندما يرفع جدك حالة « المقـــاطعة الكاملة » التى فرضها على وعلى أمك صفية ، عندما أصر على عدم زيارتنا له ، فجدك أصله كان من « الغجـــر » هل تعـرفين من هـو الغجرى ؟!٠٠

انه اذا استوطن القرى ـ أو المدن ـ وعاشر القوم المتحضرين، فانه يظل غجريا٠٠مهما تطورت حياته٠٠« فالغجرية » كالجرثومة ، تظل فى دمائنا مهما تعلمنا ٠٠ وقـد عرفت من جـدك ذات يوم أن جدنا الغجرى الأول ، كان على قيد الحياة منذ زمن بعيد ٠٠ ويزعم أبى أن جدنا هذا كان أحد فرسان عصر المماليك ٠٠ ويقال انه شهد ثورة عرابى ، ثم قيد بالسلاسل بعد فشل عرابى ولكن هناك رواية أخرى تقول أن الجد الأول لك ٠٠ هبط المدينة لبيع ما سرق من أغنام فخطفه السماسرة وأخذوه مع زمـلائه الى برزخ السويس دون أن

يرحموا شيخوخته المبكرة ويقال انه مات أو قتل ·· أو استشهد ·· هناك ·· ويقال انه دفن جيا تحت أول كومة رمال أخرجها الخواجة « دليسبس » من الصحراء وهو يبدأ فى حفر قناة السويس ·· لحظة واحدة يا ابنتى العزيزة ·· أشعل لنفسى سيجارة وأكمل لك القصة ·· آه ·· رائع أنك تهتمين بما أحكيه لك وبالمناسبة اصغاؤك بعينيك العسلية يسعدنى جـدا ·· اسمعى يا منى ·· لقـد نسيت المسألة كلها ، ولم يعد تعنينى الحكايات المختلفة عن حياة جدى الأول ·· لكن ·· عندما كثرت حوادث اعتراضى لبنات القرية وضج الجيران بالشكوى من استهتارى ·· قالت أمى أننى « طالع غجرى » أبا عن جد ·· لسابع جد ·· وضحكت ·· لكن أهل القرية قالوا فى غضب : « أصله غجرى » !·

وظننت يومها أن الكلمة هى مجرد سَباب آخر أو اتهام عادى لكن جدك أكد لى أن عائلتنا أصلها من الغجر فعــلا ، ثم انتهز أبى الفرصة لكى يعلمنى ما أجهله عن أخلاق الغجر ··

فقال :

ـ لماذا أنت مستهتر يا ولد !··

ولم أجبه طبعا فقد كنت أنفى هذه التهمة ، نفيـا باتا ، الا انه استمر يقـول :

ـ ان الغجـرى اذا انحـــرف فانه يسرق فقط ، لأنه يجب أن يعيش ·· والناس تخاف منه وتحرمه من العمل ·· فيضطر للسرقة ليأكل هو وعياله ·· وهناك من ينشل من الأسواق ·· والأفراح حيث

تنتشر نساء الغجر للرقص فهن جميعا غوازى ، وجميلات ٠٠ ومع ذلك ٠٠ تركتهن وتزوجت من امك الفلاحة ابا عن جد ٠٠

وباختصار يا منى ٠٠ لقد احب ابى ٠٠ امى ٠٠ عندما جاء ذات ليلة ليسرق مواشى والدها المزارع ، فراها ٠٠ واحبهـــا ٠٠ وعــاد للسرقة ـ مرة ومــرات أخـــرى ٠٠ الى أن توصـــل الى اتفاق مع والدها ٠٠ وهو ان يتزوج من سعدية ، ويتكفل بحمـــاية املاك والدها وأهلها والقرية كلها ويدفع عنهم شر الغجر وسرقاتهم ، وتأقلم الأب مع حياة الفلاحين وان عجز عن أن يصبح مالكا بغيــر التركة البسيطة التى فازت بها أمى من اسرتها بعد رحيل والدها ٠٠ وظن أبى أنه لم يعد غجريا ٠٠ فاستقام فى حياته حتى أنجبنى و ٠٠ تركنى أكبــر وعاملنى بقسوة ، حتى لا أسرق أو أنحرف٠٠وقلد كبار القوم فى القرية فأرسلنى الى المدارس وتعلمت وصرت كثير الحب للبنات والنساء ٠٠ ويومها صاح أبى :

ـ الغجرى ٠٠ يظل غجريا مهما طال الزمن !٠٠

ثم هددنى بأنه قد يضطر لارسالى الى أجـدادى الغجر ٠٠ اذا لم أكف عن الاستهتار ٠٠ وذات ليلة حبسنى أبى فى « المندرة » وضع قفلا ضخما على الباب ليمنعنى من السهر مع زملائى فطلبت منه أن يتركنى أرحل الى أجدادى ، لكنه رفض ، وقال بحزن ممزوج بالغضب :

ـ لم تعد تصلح لحياتهم يا ولدى ٠٠ انهم لا يعرفون الارتباط بالبيت والأرض ٠٠ انهم قوم رحل ٠٠ كل ليلة فى مكان ٠٠ ينشرون الفــــرح فى كل قرية ٠٠ ويضاحكون كـــل انسان ٠٠ ثم يسرقونه ويعودون بالغنائم لياكلوا ويتاجروا و ٠٠ أنت ٠٠ لا مفر امامك من الاستمرار معى ٠٠ أربيك كما أريد !٠٠

قلت له :

ـ لا ٠٠ اتركنى اذهب الى أجدادى ٠٠

قال :

ـ سيعيرونك بى ٠٠ لهروبى منهم ولزواجى من أمك الفلاحة٠٠ وربما قتلوك لأنك ابنى !٠٠

ثم أمرنى بأن أنكتم وأطيع أمره ٠٠ و ٠٠ هكذا ٠٠ أصبح على أن أواصل طريقى ، وأن احاول كسر خط الفقر الذى أصبحنا محاصرين به ، بعد ان تشاجر أخوالى مع أبى واستردوا نصيب أختهم ـ أمى ـ وكان ثلاثة أفدنة ، ونصف بيت ، ثم ٠٠ تزوجت أنا من أمك ٠٠ صفية ٠٠ وتركت أبى وأمى واخواتى يواجهون حصارا محكما من الجوع والجهل ، وكنت أنا أملهم الوحيد ٠٠ وهأنذا ـ تخليت عنهم ، من أجل أمك ٠٠ ولعل ٠٠ الانهيار الأول الذى حدث لوالدك المحترم ـ يا ابنتى ـ يبدأ من هنا ٠٠ تماما مثلما يحدث للأمم العظيمة فى التاريخ ٠٠ أعرف ان هذه المسائل لا تعنيك الآن٠٠ ولن تفهمينها لأسباب واضحة جدا جدا ٠٠ ومنها أنك عدت للبكاء بعناد سخيف وحالا سوف أعد لك رضعة جديدة دافئة من اللبن واليانسون ٠٠ ولكن بشرط بشرط أن تحاولى سماع بقية قصتى ٠٠ ياخبر اسود ٠٠ اسكتى يا منى ٠٠ لقد تحطم الطبق من يدى ، ولا أعرف اذا كان عندنا لبن آخر أم لا ٠٠ أيعجبك هذا ٠٠ ان أمك المحترمة سوف تضربنا نحن الاثنين علقة ساخنة جدا ٠٠ آه ٠٠ ألا تصدقين ٠٠ ان أطباق المطبخ بالذات أمك هى التى اشترتها بنقودها ٠٠ فأنا اشتريت الدولاب ٠٠ والمطبقية والسرير طبعا والثلاجة ٠٠ وأمك اشترت ٠٠ يوووه ٠٠ اسمعينى يا منى ٠٠ لحظة

واحــدة ٠٠ ان صراخك حــاد جدا ويشرخ أذنى ٠٠ ها ها ٠٠ أه يا عكروتة ٠٠ اليك الرضعة الأخيرة ٠٠ الى أن تصل أمك بالسلامة ، وأروى لها قصة الراكبة الحسناء التى كانت بجوارى بالتاكسى ٠٠ وكنت أشتهيها فى سرى ، ثم سرقنى اللصوص واعتدوا عليها ٠٠ ونسى والدك المحترم يا منى أن يحصل على رقم التاكسى !٠٠

سلبى جدا أنا ٠٠ جبان ٠٠ حيوان ٠٠ كلب ٠٠ أقل كثيــرا من حيوان ٠٠ أقل كثيرا من أى كلب ٠٠ كنت كل ثانية أواجه اهانات تدمــر كرامتى ٠٠ كيانى ٠٠ لدرجة أننى لم أعــد أعرف الصح من الخطأ ٠٠ أمك دعت اليوم رجلا غريبا وزعمت أنه ابن خالهــا ٠٠ تصورى يا منى ٠٠ كيف أعرف أنا أنه ابن خــال أو عم أو حتى من العائلة أصلا ٠٠ لابد أنه رجل ثرى وقــادر على انقـــاذ صافى ٠٠ وتحقيق أحلامهـــا المؤجلة ٠٠ أمك معها حق ٠٠ لابد أن تملنى ٠٠ أجلت لها جميع أحلامها ٠٠ وظننت أنها صارت راضية ، وتخلت عن رغبتها فى امتلاك سيارة وفيلا بحديقة وشاليه بالاسكندرية وطعــام دسم وثياب راقيــة وسهرات فى الأماكن الغــالية و ٠٠ لكننى كنت ساذجا ٠٠ فها هى تعلن عن تشبثها بكل الأحلام دفعة واحــدة ٠٠ تريد أن تعيش كما يعيش الأثرياء ٠٠ لكن كيف ؟!٠٠ قريبها المزعوم سيجد لنا عملا خارج مصر ، ولابد أن الأجر دسم جدا ٠٠ هابل ٠٠ كفى عن اخراج « الحلمــة » من فمك ٠٠ وافهمى جيــــدا ما أقوله لك ٠٠ عنـــــدما تكبرين ستقرأين بنفسك شــــهادة الليسانس التى حصلت عليها ٠٠ أنا وأمك المبجلة ، عام ١٩٧٤ وبدرجة جيد جدا ، وستعرفين أننى وأمك نعمل فى وظيفتين محترمتين بلغة هذا الزمن ، وأننا مع ذلك لم نتمكن من عمل أى شىء يؤمن لك أنت مستقبلك ٠٠ نعجز عن دفع جميع الأقســاط والفواتير ، ولا نعــرف كيف نواجه ارتفاع الأسعار ٠٠ ونسينا ــ مع سبق الاصرار ــ أن ندخر لك نقودا

تنفعك ذات يوم ·· واعرف ان حقدك علينا سيكون عنيفا ·· لكن لحظة من فضلك ·· أنا لا افعل شيئا غير الذهاب الى عملى والعودة منه منهكـا لكى تمتص امك بقيـــة عافيتى ·· لكننى حتى فجـــر اليوم ·· لم اكن اعرف انها مشغولة برجل آخر غيرى ·· تقول انه ابن خالها ومن عائلة اجدادك من الفيوم ·· و ·· ولكن كيف كان باستطاعتنا ان ندخر شيئا ·· او نجد ما يكفى لنزهة خارج البيت فى مكان برىء ·· المواصلات مزدحمة لدرجة أن فتاة عذراء حسناء فقدت عرضها وربما حياتها ايضا فى حقول امبابة منذ ساعات فقط دون أن يهتم بهـا أحد ·· ارجـوك يا منى ·· افهمينى ·· اننى لم اقصد ان اكون سلبيا ·· لم أتعمد أن أنهار هكذا ·· لا اريد أن اشك فى أمك ·· لم اقصد أن اكون ابنـا عاقا ، واخا قاسـيا ، وغجريا يخالف الشرف البدائى للغجر ·· تصورى ·· حتى الغجر الذين يسرقون الكحل من العين ·· لا يهتكون اعراض البنات والنساء ابدا ·· اما الآن فالرحمة السماوية لم تعد كافية ·· أكفر ؟! ·· لا ·· أحاول أن اتماسك ·· فمن يدرى ·· حالا تعود صفية ·· وتعـــد الغداء الدسم من الكوارع لابن خالها ·· وسوف يأكل بنهم شديد ·· ثم يخرج من جيوبه عقود العمل فى الخارج ·· وفورا سيصبح لنا حسابا جاريا فى أحد البنوك ·· اطمئنى ·· فيبدو أن صفية تحاول محاولتها الأخيرة ·· من أجلنا جميعـا ·· ويجب أن نتفهم ــ أنا وأنت ــ موقفها النبيل الشجاع ·· أما اذا ثبت لنا ــ انا وأنت ــ انها تخوننا ، وتفرط فى شرفها ، فحتمـــا سوف نتفق أنت وأنا ·· وجدك الغجرى على أن نقتل صفية ونعلق جسدها الحلو المثير على مئذنة مسجد قريتنا ·· فالغجرى الأصيل هــو الذى يعلن للملأ أنه عرف كيف ينتقم لعرضه دون حياء من أحـد ·· وها هى سـكين المطبخ ·· ياه ·· انها حادة جـدا جـدا ·· وحتما ستفيدنا وقـد لا نحتاج الى الخنجر الأثرى عند جدك ·· من يدرى ·· ربما ··

هـا ٠٠.هـا ٠٠ قهقهى معى ٠٠ أتعرفين ما هو اسم جـدك لأمك : حداية ؟!٠٠ مالى أنا يا بنت ٠٠ انه اسم عائلة أمك ٠٠ وليس اسمى أنا ٠٠ احمـدى ربك أنك لن تحملى اسم أمك أبدا ٠٠ حـداية ؟!٠٠ تصورى ؟!٠٠ مازلت مصرة على غضبك منى ؟٠ اذن ابعدى عنى ٠٠ ودفع العربة فابتعدت بمنى حتى صدمت فى الحائط ، فقال : عظيم أن تكونى بنتا مطيعة لى لى منذ الآن ٠٠ جميل جدا ٠٠ وعلى فكرة ٠٠ اريد أن أقول لك شيئا هاما الآن ٠٠ لأننى لن أستطيع أن أقوله لك عندما تكبرين ٠٠ احذرى يا ابنتى الجميلة أن تتركى شفتيك أو أى جزء من جسدك لمعاكسات الشبان أو الرجال ٠٠ اننى بالأمس كنت الشاهد الوحيد على اغتصاب فتاة حسناء ٠٠ كانت عذراء !٠

اننا جميعا غجريون ٠٠ فاحترسى منا ٠٠ لكن اذا أحبك أحدهم حبا نقيا طاهرا ، فاحبيه يا فتاتى ٠٠ ولا أعرف كيف ستميزين الحب البرىء ، من الحب الخبيث ٠٠ لا أعرف ٠٠ لكن مهمـا نصحتك فانك لن تعرفى ما يفيدك الا اذا ذقت مرارة ما يضرك ٠٠ مأساة حقا ٠٠ أنا تعبت ٠٠ أشعل سيجارتى وأريحك من ثرثرتى ٠٠ وأصمت ربمـا للأبد ٠٠ لكن ٠٠ نسيت أن أحـذرك من الشر الأعظم ٠٠ الخـوف ٠٠ اياك والخوف يا منى ٠٠ ان الخوف يفقـد الرجال رجولتهم ٠٠ ويسلب من النساء جميع الأحلام ٠٠ وأعدك بأننى لن أكون مثل جدك أبدا ٠٠ لن أزرع الخوف فى أعماقك ٠٠ كما فعل هو بى ٠٠ ولن أكون مثل جلاد الأرهاب ٠٠ الذى دهس البقية الباقية من شجاعتى بحذائه الأسود الغليظ عندما دفعه بين فخذى بقسوة ، ثم أجبرنى على لعقه بلسانى ٠٠ لكننى لم العقه ٠٠ هو الذى الصق حذائه بفمى و ٠٠٠ تصورى يا منى ؟٠٠ أنا أبوك الذى عاش ثلاثين سنة من عمـره ٠٠ حتى الآن دون أن تكون له أية مواقف عدوانيـة يدافع عنها ٠٠ أو يتشبث بها ، يفعلون بى كل هذا ؟!٠٠ هه !٠٠

نعم ·· ربما ·· اكيد ·· محتمل ·· جائز جدا ·· انني لهذا السبب وحده ·· صرت متهما بلا قضية ، وتم تفريغي وتحطيمي في وقت مبكر ·· وبلا عناء ·· بل دون أن يهتم بي احد ·· هذا صحيح أبوح لك بلا أي تردد ·· فأنا لا أخجل منك ولا غنى لي عنك فأنت طفلتي ·· وأؤكد لك أن الصفر يظل صفرا مادام على اليسار ·· والتراب لا تصبح له قيمة الا اذا اختلط بالماء أو جذور الذهب أو الحديد أو الفحم أو البترول ·· لكنني صرت ترابا فقط ·· دمروا كل المعادن النفيسة بداخلي وأخشى يا فتاتي أن أضيع الشيء النفيس الوحيد الذي امتزجت به ، أمك صفية ·· وأنت يا منى ·· انكما العمل الايجابي الوحيد الذي أنجزته في حياتي ·· أنتما التحدي الوحيد الذي أباهي به الأشرار ·· والمفسدين ·· والدنيا كلها ·· والمهم أنني أنجزتك أنت يا منى ·· بكامل حريتي وارادتي ·· ورجولتي وبلا خوف ·· وكانت لحظة بالعمر كله ·· أتفهمين هذا ؟!·· لقد صرخ والدك المحترم هذا بأعلى صوته في السجن وأعلن انه امرأة حتى لا يهتك السجان عرضي ·· وفهم المساجين أن الجنون شريعة المعتقلات ·· لكنني سقطت في نظر نفسي ·· أصبحت عاطفا آخر ·· مختلفا عن عاطف الذي كنت أعرفه قبل الكارثة الرهيبة !··

آه يا فتاتي ·· أحلم الآن ، بأن أعود طفلا مثلك ·· لأكبر في حجرة ليس بها براغيث ·· وليس بها « البورص » السمين الذي يصدر صوتا ثعبانيا يرعش جسدي كله بالخوف ·· وأحلم بأن ··· لكن ياترى ماذا فعلت الراكبة التي كانت حسناء ·· وكانت عذراء هل عثروا على جثتها في الطريق المهجور بين الكيتكات ومطار امبابة ؟!··

و ··· دق جرس الباب ، فقفز عاطف مرعوبا والتصق في الحائط ، ثم نظر الى منى بخجل ، وقال :

ـ اعذرينى يا منى مازلت أخاف ٠٠ ثم ابتـلع بقيـــة الكلام وهرول الى الباب وهو يقول :

ـ اتأخرت يا صفية !٠٠

لكنه وجد بائع اللبن يسأله :

ـ عاوزين النهارده يا بيه ؟!٠٠

لكن عاطف فى لحظة واحدة ، أحس بأنه يتمزق الى نصفين من رأسه الى قدميه ، وانه يريد أن يزعق ٠٠ يزعق ، ليعلن للدنيـا كلها أن الليل قد دخل ، فها هو بائع اللبن الذى يأتى فى الســابعة مساء من كل ليلة ٠٠ ها هو قد جاء ٠٠ ومازالت صــفية فى سوق الجيزة ٠٠ اذن فهى لم تعـد بعـــد ؟!٠٠ كيف ؟!٠٠ لمـــاذا ؟!٠٠ لماذا ؟!٠٠ هل ٠٠ هل خطفوها ؟!٠٠

وصاح فى هستيريا :

ـ منى ؟!٠٠ أمك لم تعد منذ الصباح ؟!٠٠

وصرخت منى ، وهى ترى والدها يهز عربتها الصغيرة بعنف شديد ، وأن وجهه قد انقلب الى صورة مخيفة مظلمة أمام عينيهـا الصغيرتين ، وأن أسنانه ضخمة ويلوثها الدم وهى تكز على شفته بقسوة ٠٠ وأن دموعه تلمع فى عينيه ، وأن لهاثه الســاخن يكاد يشوى وجهها وعينيهـــا ويديهـــا فصرخت برعب ٠٠ وظلت تبكى وتصرخ ٠٠ حتى أفاق عاطف لنفسه فحملها ، برفق وضمهـــا الى صدره وقال بعنف الخوف والحقد اللذين امتزجا فى أعماقه :

ـ لقد زرعوا الخوف كالخازوق ٠٠ فى أعماقى ذات مرة ٠٠

وواحد مثلهم عرى مؤخرة الراكبة المسكينة أمامى دون حيـاء ٠٠ لكنهم لن يفوزوا بصفية أبدا ٠٠ أبدا ٠٠ أبدا ٠٠ لأه ٠٠ لأه ٠ وهرول هابطا السلم ٠٠ لكنه عاد وصعد مرة أخـــرى وبحث عن مفتاح مسكنه ، وارتدى حذاءه ٠٠ وضم منى الى صدره ٠٠ وأغلق الباب بعنف تردد صداه فى بئر السلم ، وهبط مسرعا ٠٠ وهو يؤكد لطفلته :

ـ سوف أستعيد أمك ٠٠ مهما كان الثمن !٠٠ ولن أتركهـا لهم أبدا ٠٠ لن يغتصبوها ٠٠ ولن يهتكوا عرضها ٠٠ لن يضيعوا كل أحلامى ٠٠ لن ينالوها أبدا !٠٠

* * *

الفصل السابع

فى شقة مفروشة بأحدث ما يخطر على البال من اثاث وضع الشابان ، صفية وجلسا يعدان نفسيهما لسهرة شهية ، وحاولت هى أن تجد حلا ممكنا ، وكانت الرحلة من شارع الهرم الى مدينة نصر كافية لأن تكتشف أن صراخها لن يفيد ، فلدى هذين الداعرين كمية من المخدر تكفى لتنويمها عدة اشهر ٠٠ وقاطع احد الشابين افكارها ، بقوله :

ـ أنت جميلة جدا ٠٠ ما اسمك ؟!٠٠

بذلت جهدا لتبتسم له ، وقد نصحت نفسها بان تحاول لعبة الخداع ٠٠ وكسب الوقت ٠٠ بعد أن لاحظت أن الشقة فى الدور السابع ٠٠ وكشف لها زجاج النوافذ والشرفة ، عن صحراء ممتدة حتىهضاب قاتمة جعلتها تخمنأن لا مفر ، فاما أن تستسلم لهما ، او أن تحاول كسب ثقتهما ، و٠٠من يدرى ربما تمكنت من اعادتهما الى الصواب ٠٠ والا فالحل الأخير ميسور ٠٠ متاح فى اللحظة القاتلة ٠٠ اذا أصرا على اغتصابها ، سوف تذهب الى الحمام لتغتسل ٠٠

ثم ٠٠ من نافذة الحمام تلقى بنفسها لتهوى من سابع دور ٠٠ جثة هامدة ٠٠ و ٠٠ كرر احدهما السؤال :

ـ ما اسمك ؟!٠٠

كررت الابتسام لهما ، وبذلت جهدا مضاعفا لكى تسترخى فى مقعدها ٠٠ لكى تلتقط أنفاسها ٠٠ لكى تتحكم فى عقلها ، لكى تختلق اكذوبة ادق من تلك التى صدمت بها زوجها عاطف عن ابن خالهـا المليونير ٠٠ انها تعرف أن عقلها مدفن خيالات ٠٠ منذ أجبرها خالها ـ وأمها معه ـ على التنازل عن كل حقها فى التركة اذا صممت على الزواج من عاطف ٠٠ منـذ تلك اللحظة التى تمزقت فيها علاقتهـا بالأم والخال والميلاد والأصل والأهل وهى تعانى من اهتزاز عميق بداخلها ، وكادت تصارح عاطف بخوفها من الجنون ، فالحرمان من الأهل بهذه القسوة يدفع اما للجنون ٠٠ واما الى الانحراف وسلوك طريق هذين الشابين اللذين اختطفاها دون عداوة أو سبب واضح لها ٠٠ كان عاطف سيسخر منها حتما ٠٠ كان سيقول لها انه هو ٠٠ بزواجه منها قد فتح لها أبواب الخلود والمجد ٠٠ وكان سيستمر فى سخريته ويقول أن ميلاد منى سيجعل من زواجهما أصلا ٠٠ وجذورا أقوى من جذور الأجداد جميعا ٠٠ وكان ـ على الأرجح ـ سيحسم الثرثرة معها عن اهتزازها وخوفها من المستقبل ، باقتراح ساخن وهو أن يعالجهـا من كل اهتزازاتها الداخليـــة ، ويستأصل بوادر جنونها ، بسيل من القبـلات ٠٠ ثم يغرقهـــا فى طوفان من الحب والعشق ٠٠ وكان ٠٠ ترى ماذا يفعل الآن ؟!٠٠ ومنى ٠٠ هل أعد لها الرضعة ؟!٠٠ وهل سيكتشف رسائلى اليه ويفهم ما أردت أن أبوح به ٠٠ وهل سيغضب منى أم يعذرنى وينسى اكاذيبى ويفهم أن حاجتى للأهل والأقارب ٠٠ وخوفى من الغربة وقسوة الوحدة ، هو ما جعلنى أتخيل أن لى خالا يعمـل مستشارا ثم ٠٠ منـــذ ساعات

فقط ، صحوت على حلم مفـزع ، واسرعت ارويه لعاطف قبـل أن انساه ٠٠ وتماديت فى حلمى هذا لأهرب من أشياء تعذبنى و ٠٠٠ صفية تعترف الآن بانهـا ربما حلمت بابن الخـال الموهوم لكى تبلغ عاطف نبأ ترقيتها المفاجئة ٠٠ فهى تعرف أنه يغـار ٠٠ ويشك فى سلوك مديرها ٠٠ هو لم ير مديرها ولا يعرفه ٠٠ لكن المدير ارسل لها هدية غالية يوم زفافها ٠٠ وهدية أغلى يوم ميلاد منى ٠٠ وقـد تكون المسألة كلها مجرد مجاملة منه ٠٠ أو مبالغة فى إكرام موظفة مخلصة لعملها ٠٠ لكن المؤكد أن المدير كان يتعمـد اطالة المنـاقشة معهـا اذا عرضت عليه أية مذكرة خاصة بعملهـا فى قطـاع المستخدمين ، وأنه رقاها الى منصب وكيل ادارة أذونات الاستيراد والتصدير وأنه أوصاها بلباقة بأحد العملاء ، وأنه كان على وشك أن يدبر لها مسكنا فاخرا ومطلا على النيل عندما أشارت ـ بلباقة ـ الى رغبة زوجها عاطف فى السفر الى الخارج أو الى احدى الدول العربية ليتمكن من توفير ثمن سيارة ترحمه من زحام المواصلات ٠٠ وامتلاك شقة على النيل ٠٠ فى بيت له حـديقة تلعب فيهـا منى ٠٠ ويومها وعدها المدير بأن يكلفها بأعمال اضافية تتيح لهـا فرصة الحصول على مكافآت أكثر ، وترقيـات اسـتثنائية لكى تستطيع أن تسهم فى تحقيق أحلامها وأحلام زوجها ٠٠ وصفية تدرك أيضا أن مديرها كان ينتظر منها هى ٠٠ أن تهرول اليه وتطلب منه أن يدعوها الى الغداء أو العشاء ٠٠ ثم ترجوه أن يحملها الى شقته الخاصة ٠٠ لكى تتمكن من تقديم خالص امتنـانها ٠٠ وتشكره بالطريقـة التى تجعله يضاعف اهتمامه بها ٠٠ و ٠٠

صفعها أحد الشابين ، وقال :

ـ هل أصابك صمم يا بنت الـ ٠٠٠٠٠ ؟!

وقفت مفزوعة ، شاحبة ، وعاد اليهـا ارتباكها ·· وبصورة مضاعفة ، وكادت تشتبك معهما فى عراك وليحـدث ما يحدث ·· لكنها احتملت ، وعضت شفتها السفلى وهمست بضعف لا يخلو من النسونة المختزنة بخلاياها ·· قالت :

ـ اسمى صـفية ·· ولا تسألنى عن بقيـة الاسم ·· فـ ·· فأنت تعرف طبعا أن وجودى هنـا ·· وبالطريقـة التى حدثت ·· سوف يسبب لى حرجا ·· وربما فضيحة ·· و ··

قهقه الشـابان ، وعادا الى احتساء الخمـر ·· وتدخين السجائر الملفوفة بالحشيش ، وقال أحدهما :

ـ وجدنا معك فسيخ وسردين ·· وقراميط ·· ومناشف ·· هل تفضلين أمراء البترول ؟!··

قالت بخبث ـ وهى تدارى قرفها :

ـ الطيور على أشكالها تقع !!··

سألها الآخر :

ـ معنا من المال ما يفوق ثمن بئر بترول كامل ·· وسوف ترين بنفسك !··

هل أنت من الاسكندرية ؟!··

شحب لون الشاب الأسمر ، وخلع بلوفره الملون واحتسى كأسا آخر ، لكنه عجز عن مداراة ارتباكه ، وسـخر زميله ذو الشـارب المتدلى بميوعة حول فمه ، وقال :

ـ يظهر انك اصطدت لنا امرأة من المباحث الجنائية !··

ثم استدار الى صفية وسألها بحدة :

– من قال لك ان مجدى ٠٠ اسكندرانى هه ؟!٠

فرحت صفية لأنها اكتشفت أنه بالامكان اخافتهما أو محـاولة السيطرة عليهما ، فواصلت مناورتها بحذر ٠٠ وقالت :

– وأنت ٠٠ لابد أنك من الزقازيق ٠٠

فأخرج صوتا كريهـا من أنفه واستلقى على ظهـره ضاحكا بميوعة واستهتار ، وقال :

– فى هذه ٠٠ طلعتى حمارة يا بنت الـ ٠٠٠٠٠ ! ٠٠ اننى قاهرى ٠٠ أبا عن جـد ٠٠ وأعرف كيف أقهـر كل الجميـلات ٠٠ أمثالك ٠٠ وسوف ترين حالا ٠٠ هيا لتكتشفى بنفسك ٠٠ ان حظك من السماء !٠٠ هيا يا صفصف ٠٠

ونهض الشاب ، وأمسك ذراعها وجذبها الى صدره فقاومته برعب ٠٠ لكنه شدها بعنف فوقفت مرعوشة وقالت :

– لو تهدأ لحظة !٠٠

قبلها وهو يقول :

– أهدأ كيف وأنت امرأة فائرة ٠٠ شـــهية ٠٠ أريد أن أكلك أكلا ٠٠

قالت وهى تربت على ظهره ، وتحاول أن تسيطر على لسانها لتكون كلماتها واضحة :

ـ لم نتعرف بعد ·· زميلك اسمه مجدى واسكندرانى ·· وانت قاهرى ·· لكن ما هو اسمك الكريم ؟!··

قال :

ـ أنت عمياء ·· انظرى ·· هذه السلسلة الذهبية الضخمة ، عليها الحرف الأول من اسمى ·· انظرى ·· جنيه ذهبى ·· يتدلى فوق صدرى ·· وبه حرف « اس » ·· يعنى سامى يا جاهلة ·· هيا الآن لنكمل تعارفنا فى السرير !··

جذبها عدة خطوات ، وهى فى كل خطوة تشعر بأنها تفقد كمية من دمائها وجزءا من وعيها ، وتمنت لو أن زلزالا فاجأ الدنيا الآن ودمر هذه العمارة كلها أو لو انشقت الأرض وبلعتها ·· أو لو ماتت و ·· فجاة وجدت نفسها ممددة على الأرض ثم اكتشفت أن مجدى قد مد يده وجذب ساقها وجعلها تقع ·· ووقع فوقها مجدى ·· وسامى فى نفس اللحظة فصرخت و ·· انفلتت منهما بجنون والتصقت بالحائط ··

صاح مجدى :

ـ هل صرخت يا كلبة ؟!·· اياك أن تكرريها ·· اياك ·· اننى عندما كنت فى نابولى منذ شهرين اضطررت لقتل امرأة مثلك لأنها صرخت ··

وقهقه ساخرا وأضاف :

ـ اننى « سيكو » ·· معقد جدا من صراخ النساء ·· وسوف أحكى لك القصة عندما أنام معك الآن ··

اعترض سامى ، بعناد ، قائلا :

ـ أنا الأول يا مجدى ٠٠ هذا اتفاقنا ٠٠

قال سامى :

ـ نعمل قرعة !٠٠

وأخرج قرشا من جيبه وسأله ، ملك والا ٠٠ كتابة ؟٠٠

اختار سامى ٠٠ « ملك » ٠٠

فدفع مجدى بالقرش الى أعلى حتى صدم فى النجفة الثمينة وسقط على السجادة ، وقبل أن تمتد الى القرش يد أحدهما ، كانت أصابع صفية تلتقطه وتقذفه بعيدا ٠٠ وهى تقول :

ـ هناك طريقة أحسن من هذه !٠٠

صاح مجدى بلهجته السكندرية ، وقال :

ـ هايل ٠٠ رائع ٠٠ ألم أقل لك يا ولد ٠٠ لكن من منا سيبدأ الأول ٠٠ ان الأمر يحتاج الى اجراء قرعة أخرى !٠٠

قالت :

ـ لم لا نتعامل باحترام أكثر ٠٠ انكما وحيدان ٠٠ وأكيـــد حرمتما من حنان الأم والأب والأهل لسبب ما لا أعرفه ٠٠ لكننى ٠٠ مثلكما ٠٠ ولابد لنـــا أن نفكر فى وســيلة ما لنعود بنى آدمين ٠٠ أناسا ٠٠ بشرا ٠٠ لنا مبادىء ٠٠ مثل ٠٠ قيم ٠٠

ارتفع صوت مجدى « بلفظة بذيئة » ورقيعة وهز وسطه ورقص كثيرا وادار سامى « جهاز التسجيل » باحدث اغانى أحمد عدوية ·· وشربا كأسين ·· وقال احدهما :

ـ لا تصلحين للوعظ والارشاد يا أختى !··

وقال الآخر :

ـ لو كررت هذه السفالة فسوف أذبحك ·· فأنا كما قلت لك من قبل انسان سيكو ·· معقد من صراخ النســـاء ومواعظهن ·· ما رأيك الآن ؟!··

قالت صفية :

ـ واضح انكما متعلمان ·· مثقفان ·· ومن عائلات كريمــة الأصل ·· ولستما مثل المنحرفين الذين ····

صاح مجدى :

ـ قلت لك انكتمى ··

جلست صفية فى مواجهتهمـا وطلبت كأســـا وسيجارة ·· وحرصت على أن تقاوم رغبتها الخفية فى أن تنتحر الآن بالانحراف واحتراف الدعارة ، ولاحظت أن هذه الرغبة تريد التحرك بداخلها ، وانها كانت تحس بها كلما حاصرها اليأس ·· أو عندما تفقد حلما جديدا من أحلامها ·· هى وعاطف ·· واخـــذت تدخن السيجارة وتبلل شفتيها بحذر من الكأس ·· ويبدو أن هذه التمثيلية الجديدة قد طمأنت الشابين ، وجعلتهما يهدآن ، ويحتملان ثرثرتها ·· لتقل

ما تشاء مادامًا فى النهاية سيفوزان بالنوم معها ٠٠ و ٠٠ سألها مجدى :

ـ جامعية ؟!٠٠

هزت رأسها ، وقالت :

ـ للأسف ٠٠ آه !٠٠

سألها :

ـ موظفة ؟!٠٠

قالت :

ـ للأسف ٠٠ آه !٠٠

سألها سامى فجأة :

ـ ما رأيك فى الأوضاع السياسية والاقتصادية للبلد ؟!٠٠

قهقهت ٠٠ انفجرت فى ضحكات هستيرية ، وملأت كأسيهما وقالت :

ـ أحب الحديث عن الجنس ٠٠ وحقوق المرأة ٠٠ ما رأيك ؟٠

ركع سامى عند ساقيها وقبل فخذيها وذراعها ، وقال :

ـ ليلتك أنس !٠٠

وضعت راحتها على شعره ٠٠ وداعبته ٠٠ ربتت على رأسه

٠٠ وادهشتها المفاجئة وجدت سامى قد أراح دماغه على فخذيهـا وبكى فى صمت لكن اهتزاز جسده فضح أمره وسرعان ما أحست بدموعه تبلل ثوبها ٠٠ ومدت يدها الى ظهره وربتت عليه فى حنان حقيقى هذه المرة ، وهمست فى أذنه :

ـ كل منا يهرب من أحزان رهيبة ٠٠ ولكن ٠٠ حتى عنـــد الهروب ٠٠ يجب أن نختار طريقنا بدقة حتى لا نضيع البقية الباقية من الأمل فى رحمة السماء !٠٠٠

انتفض سامى واقفا ، وقال :

ـ سأكسر رقبتك اذا لم تصمتى ٠٠ أتفهمين ٠٠ .

ثم استدار الى صاحبه مجدى وسخر منه :

ـ تصطاد لنا شيخة ٠٠ يا رجل حرام عليك ٠٠

ثم انحط على مقعده وبلع كأسه بقرف ولكنه لم يعد ينظر الى عينى صفية بشراهة كما كان يفعل قبل لحظات ٠٠ اكتفى بالنظر الى جسمها وكأنه يقاوم رغبة مجهولة فى أعماقه ٠٠

وقال مجدى :

ـ متزوجة يا صفية ؟!٠٠

كذبت ، كمحاولة للخلاص منهما ٠٠ قالت :

ـ كنت ٠٠

سألها :

ـ مطلقة ؟!٠٠

هزت رأسها ، وقالت :

ـ أظن ٠٠ بل أكيد سيطلقني زوجي اذا عدت اليه في أية لحظة ابتداء من الآن ٠٠

كان الليل يزحف على الصحراء المحيطة بمدينة نصر ٠٠ وكانت الأنوار تضاء في نهاية الشارع الذي يجاور العمارة ٠٠ وكانت تعرف أن عاطف على وشك أن يكتشف غيابها اذا كان قد انهمك ـ كما تتمنى ـ في تنظيف الشقة ورعاية مني ، وانه الآن سيكتشف بدهشة بالغة ان الليل قد أقبل وأنها لم تعد اليه بعد ٠٠ وضحكت وهي تقول :

ـ أكيد لن يلاحظ ذلك الا اذا حضر بائع اللبن ليعلن له أن المساء قد جاء !٠٠ مسكين عاطف حبيبي ٠٠ يثق بي ثقة عمياء ٠٠ ربما هذا ما أجل انحرافي حتى الآن ٠٠ لو أنه شك في سلوكي ولو مرة بصورة جادة اذن لوجدت مبررا للسعي الى أحضان مديرنا العظيم صاحب النفوذ الواسع ٠٠ ولكنه على نياته ، أحس به مسحوقا كلما واجهتنا مشكلة ولو صغيرة ٠٠ حرم مثلي من سند قوي يواجه به قسوة الحياة ٠٠ أصدر والده ـ الغجري الأصل ـ قرارا بحرمانه من زيارته ورؤية أمه ٠٠ ظلمه أبوه لأنه لم يستشره في الزواج ٠٠ قال له في الزيارة الوحيدة التي شرفنا بها بعد الزواج بأسبوع :

ـ تزوجت دون موافقتي ٠٠ فلا تستحق أبوتي ٠٠

ولما ناقشه عاطف فى المسألة نهره وصفعه وقال له :

ــ زواجك يهمنى انا ٠٠ لأننى أريد أن أطمئن على أن أحفادى يستحقون اسمى ٠٠ وأسماء أجـــدادى ٠٠ انك لست حـــرا فى الزواج ٠٠ وليس من حقك ابدا أن تصنع الجيل القادم من عائلتى كما يحلو لك ٠٠ اننى مازلت حيا ٠٠ وخنجـــرى قادر مازال على انقاذ شرف أجدادى الغجر ٠٠ لكننى أعطيك الفرصة لتطلقها ويومها سأزوجك أجمل جميلات بنات الغجر من طهواج !٠٠

ثم ٠٠ شرح لها عاطف القصة ، وفهمت أن والده خرج عن طوع قبيلة الغجر ٠٠ وتزوج من أمه الفلاحة ، ولكنه يريد أن يصلح غلطته ويتوسل بتزويجه من بنت غجرية لاصلاح غلطته ، ويعيـــد انتماءه الى أصـــوله وجذوره العريقة ٠٠ واقترحت عليـــه صفية يومها ، أن يدرسا علم الاجتماع بدقة فى الجـــامعة الأمريكية لكى يتوصلا الى حل يريح والده ، ويعيد اليهـــا أمومة امهـــا ، ورعاية خالها ٠٠ وصرخت صفية برعب ، عندما وجـدت سامى ومجـــدى يربطانها بحبل غليظ ، وهما يقهقهان ، وقال سامى :

ــ لو أشعلنا نارا الآن ٠٠ وشوينـــا خروفا ٠٠ فسوف تكون متعتى أعظم ٠٠

وضربه مجدى مداعبا على ظهره وقال :

ــ فعلتها مرة فى روما ٠٠ وطاردنى البوليس الى نابولى ٠٠ وعندما قتلت عشيقتى وجدت ايطاليا يبيع لى جواز سفره بزجـــاجة ويسكى ، وساعدنى بحار مخمور على الهرب فوق سفينة شحن ، ولكننى يا ولد عملت على ظهر هذه السفينة ، فراشا ٠٠ وشيالا ٠٠ وخادما ٠٠ حتى انقطعت انفاسى ٠٠ وكل ما أحزننى أننى عـــدت الى أمى ٠٠ مهزوما ٠٠ مهزوما يا ولدى ٠٠

وقهقه بمرارة حتى بكى ، وقال : انت يا ولد لا تعرف امى ..
انها تملك عمارات كثيرة فى الاسكندرية .. واعتقد انهـا سوف
تستفيد كثيرا من حكاية الانفتاح هذه ، بعد أن رفعوا عن اموالهـا
الحراسة ورحم الله ابى المحترم .. اكتشفنا ان له سبع عشيقات
ابن الـ ..... تصور سبعة .. المفترى .. والمصيبة انه انجب
منهن جميعا أولادا وبنات لم يخجلوا من عارهم ، وشكوا امى فى
المحاكم وفازوا باثبات بنوتهم .. فقد منحهم المرحوم شهادات ميلاد
صحيحة قانونا .. ويبدو أن هذه المهزلة جعلت أمى ترسلنى لأتعلم
فى أوروبا وأعود لها طبيبا شهيرا فى القلب ، لكن هأنذا معك فى
مسكنك الذى صرفت عليه الكثير من أموال أمى .. وسوف اظل معك
حتى آخر قرش فى ثروتها .. لن اتخلى عنك يا صديق العمر ..

ضمه سامى الى صدره بحرارة وهتف باسم الصداقة عـدة
مرات وقال :

ـ اتعرف .. لو أننى عدت للعمل فى دول الخليج ومعى هـذه
المرأة .. فاننى ـ مؤكد ـ لن أفشل مرة اخرى .. بل سوف أنجح
وأعوض كل الفشل الذى مررت به هنا وفى جميع البلاد العربيـة
من الخليج للمحيط .. وحتما لن اظل ـ بفضلها ـ مجرد مدرس
ابتدائى .. لا يملك سوى سيارة تاكسى من يدرى ربمـا أصبحت
منافسا خطيـرا لوزارة التعليم كلها ، وأملك مئات المدارس وعـددا
لا بأس به من الجامعات .. ويومهـا ساغير جميع قوانين التعليم
واترك الحرية لجميع الطلبة والطالبات للتعلم كما يحلو لهم ..
ولن .. لكن ما رأيك يا حلوة !.. أعدك بربح وفير ؟!..

ووضع اصابع قدمه بين فخذيها ففزعت ، وحركت جسمهـا

قليلا واحتمت بالمقعد والحائط ، وسكب عليهـا مجـــدى كأسا من الويسكى ، وقال :

ـ استعدى ، فسنبدأ اقتحامك حالا !··

شحب وجه صفية ، حاولت أن تفك قيودها وهى تتوسل :

ـ أليس لكما أخوات ، وأمهات ؟!··

قال سامى :

ـ وهى مقيدة ؟!

قال مجدى :

ـ هذه متعة لم تجربها يا وغد ·· سوف تشكرنى على هـذه التجربة ·· انها من النوع الماكر ·· لقد كدت أصدقها وأبكى مثلك على فخذيها ، بل كدت أعتذر لها وأقول لها : معك حق ·· ان لى أما مسكينة لا أحب لها أن تكون مثلك ·· تصور ·· كدت أعطف عليها ·· لذلك لابد من القيد ·· حتى لا نعطيها الفرصة ·· انهـا تريد أن تعيدنا الى ذكريات ماضينا التى نهرب منها ·· تصور ·· انها مجرمة ·· وقـد أحضرناها الى هنا لنفش عـذاب الفشل فى أوروبا والدول العربية ·· ولابد أن نتسلى بها جيدا ··

قالت فى محاولة يائسة :

ـ لى خال يعمـل مستشارا ·· وابن خال مليونير واعـدكم باصلاح كل ما تهربان منه ·· البعثة والعمل والمال ·

حاولت اتقان الاكذوبة لكن سامى صفعها قائلا :

ـ اخرسى يا جربوعة ٠٠

ثم استدار لصاحبه وقال :

ـ عندى اقتراح ٠٠ لا نتركها ابدا الا اذا عثرنا على امرأة تفوقها جمالا ٠٠ وانوثة او ٠٠ نطالب اهلهـــا بفدية ضـــخمة من المال ٠٠

قال مجدى :

ـ هل تصدقها ٠٠ انها من حثـــالة القوم ٠٠ خبرتى لا شك فيهـــا ٠٠ وانا اعرف هـــذا النوع من النساء جيدا ٠٠ يزداد فقرها فتكثر احلامها ودائما تجد امثالها فريدات فى الجمال والأنوثة ٠٠ انها امرأة تحلم بالثراء وتخاف من الدعارة ٠٠ لكن انوثتها هـــذه من نوع عجيب ٠٠ نادر ٠٠ انظر يا ولد نهدها هذا ٠٠ وبطنها ٠٠ وفخذيها ٠٠ وشفتيها ٠٠ انها امرأة العمر يا ولدى ٠٠

وقهقها ٠٠ وبدأ فى اجراء « القرعة » من جديد ليحـــددا من يفوز بشرف البدء معهـــا ٠٠ وازداد رعب صفية وصممت على ان تلصق فخذيها بعضهما ببعض واغمضت عينيها وحاولت ٠٠ان تلغى انوثتها من جسمها ، أن تجعل جسدها متخشبا او حجريا ٠٠ حاولت ٠٠ وحاولت حتى لهثت ٠٠ واصابهـــا اختناق مفاجىء وبكت عندما اكتشفت ان اسطورة الحب التى رواها لها عاطف غير صحيحة وغير ممكنة الآن ٠٠ لقد روى لها فى شهر العسل ان حبيبا قديما نزع ضلعا من صدره وزرعه فى صحراء جـــرداء وجعله ينبت له حبيبة لا مثيل لها فى الجمال والأنوثة اسمها صفية ٠٠ يومهـــا ضحكت

ومنحته نفسها للمرة العاشرة فى نفس الليلة و ٠٠ هل يعرف عاطف ما يحدث الآن ٠٠ وماذا يفعل ؟!٠٠ ومتى ؟!٠٠

وفشل مجدى فى التمكن منها فبلل فخذيها وصفعها ورفسها بقدمه بعنف ، وحرض سامى ليضاعف من اذلالها ، وكادت تصعق عندما وجدته يفك ازرار بنطلونه ويتعرى أمامها ثم يمتطى صدرها بفخذيه ، و ٠٠ تقيأت وصاحت ، ثم هتفت بضعف :

ـ منى ٠٠ عاطف ٠٠ أمى ٠٠ خالى ٠٠

وتمنت لو أن والد عاطف جاءها الآن بخنجـــره الغجرى ٠٠ ويقتلها أو يتركها تمزق هذين الشيطانين المسعورين ٠٠ وألتهـــا الحبال وصار القيد شديد الاحكام حول جسدها !٠٠

★ ★ ★

الفصل الثامن

امام الضابط النوبتجى فى نقطة بوليس الهـــرم وقف عاطف ـ ومنى على صدره ـ وأملى البلاغ ضد جميع اللصوص والقتـلة والمنحرفين الذين خربوا حياته وجعلوها سوداء مخيفة ، لا أمن فيها ولا أمان ٠٠ وسأله الضابط :

ـ اريد وقائع محددة من فضلك ؟٠٠

فأصر عاطف على ان يثبت كل ما قاله فى البلاغ الشفهى ٠٠ وعندئذ ضحك الضابط وطلب منـــه أن يوقع على أقواله بحـروف واضحة وبالاسم ثلاثيا ٠٠ فاهتز ٠٠ وعاودته مخاوف رهيبة يوم أصروا على أن يوقع اعترافات ملفقة ضـد نفسه وضـد زملائه فى الجامعة بتهمة التآمر و ٠٠ ارتعشت اصابعه بالقلم وقلقت منى على صدره ٠٠ فتهاوى على المقعد وقال :

ـ أم هذه الطفلة خرجت منذ الصباح لتشترى لنا طعاما من سوق الجيزة ولم تعد حتى الآن ٠٠ هذه هى المأساة ، التى اعيشها يا سيدى !٠٠

وصمت ·· ليبتلع ما تبقى من غضبه ، فطمانه الضـــابط ، وساله :

ـ ربما ذهبت الى اهلها ؟!··

قال :

ـ امها فى ريف الفيوم ·· وهى تقاطعنا منذ عامين ·· ولا احد لنا ·· انا وهى ·· فى القاهرة أو الجيزة ··

ساله الضابط :

ـ ربما ذهبت أو نقلت لاحدى المستشفيات ·· أو ·· لا قدر الله ؟!··

قال عاطف :

ـ ابحثوا لى عنها ·· انقذوها ·· انها فى خطر ··

سال الضابط فى اهتمام :

ـ فى خطر ؟!·· كيف ؟!··

صمت عاطف طويلا ··

قال الضابط :

ـ أنت تخفى عنى شيئا ؟·· ويحتمل جدا أن تكون قد قتلتها·· واخفيتها جيدا ثم جئت لتســتر موقفك ·· بلاغ وهمى يزعجنا ·· ولكن انصحك بالاعتراف ··

صاح عاطف :

ـ ماذا تقول ؟·· كيف اقتلها ·· اقول لك انها خرجت منــذ الصباح لشراء كوارع وخضار لاعداد وليمة لابن خالها ··

قال الضابط :

ـ ابن خالها ·· من ؟·· ما اسمه ؟·· ما عنوانه ؟·· الم تقل انه ليس لكم اقارب هنا ؟!··

قال عاطف :

ـ صفية قالت لى ان اسمه سيد عطية حداية ·· وانا شخصيا لم اره ·· لم اعرفه ·· واجهل كل شىء عن اى شىء ··

قال الضابط :

ـ هل من عادتك ان تشرب كثيرا يا سيد عاطف !··

شحب لون عاطف اكثر ، ونظر الى ابنته كانه يشهدها عــلى ما يحدث له ·· ثم قال فى حزن رهيب :

ـ ارجوك افعل شيئا من أجل انقاذ ما يمكن انقاذه من صفية ·· اننى لا أعرف ماذا أفعل ·· لقد خرجت من بيتى وانا اتصور اننى ساجد الذين خطفوا زوجتى وانى ساقتلهم واستعيدها ·· لكننى ظللت ساعتين تائها ·· لا أعرف ماذا افعل ··

قاطعه الضابط :

ـ تقول انها خطفت ؟··

قال عاطف :

ـ اكيد ٠٠ اكيد !٠٠

سأله :

ـ لماذا ؟!٠٠

صمت عاطف لحظة ثم قال :

ـ احساسى يافندم ، مجرد احساس ٠٠

ضحك الضابط وقال :

ـ آه ٠٠ اياك أن تكون قد صدقت أن حوادث الاختطاف التى نشهدها هذه الأيام تعتبر ظـاهرة مخيفة ٠٠ أبدا ٠٠ انهـــا مجرد حوادث فردية ٠٠ واغلب المخطوفات ـ كما اتضح من التحقيق ـ يرتبن بانفسهن عملية الخطف هذه ٠٠ بل ان بعض النساء خطفهن اصدقاء قدامى لهن ٠٠ انها مسألة يمكن أن تسميها العلاقات السرية بين أى امرأة تنحرف وبين مجموعة من اصدقائها ٠٠ ثم قد يصحو ضميرها فتبتعد عنهم لكنهم يطاردونها ويخطفونها وكثيرا ما يتكرر هذا اللون بالذات من الحوادث ٠٠

نهض عاطف صامتا ٠٠ واتجه للخروج فسأله الضبط :

ـ الى أين ؟٠٠

قال عاطف :

ـ سابحث عن زوجتى فى المستشفيات ٠٠

قال الضابط :

ـ فكرة طيبة ٠٠ واذا لم تجدها عد الى وسنحاول بكل تاكيد أن نعثر على زوجتك ٠٠

وخرج عاطف الى الشارع ، ولفحت وجهه نسمات الصيف الطرية ، وضم منى اكثر الى صدره ، وسار فى نور الاضاءة المبهرة فى شارع الهرم ، وتمكن بعد نصف ساعة من ايقاف عربة ملاكى واستاذن صاحبها أن يحطه وابنته الى مستشفى أم المصريين٠

★ ★ ★

فتح الطبيب النوبتجى دفتر الوارد ، ومر باصبعه على جميع السطور ٠٠ وعينا عاطف معه ٠٠ ولم يبدا اسم « صفية مسعد حداية » بين المصابين او المرضى !٠٠

★ ★ ★

فى قصر العينى ، تكررت الصورة مع اضافة واحدة ٠٠ كان هناك اسم « صفية » فقط ٠٠ وقالت المرضة انها مصابة بكسور خطيرة ٠٠ ولم تتمكن من قول بقية اسمها ، فقد توفيت بعد ذلك مباشرة وقبل أن يسعفها العلاج ٠٠ وصرخ عاطف :

ـ أراها ٠٠ أرجوك خذينى لأراها !٠٠

فهزت الممرضة صوتها بغضب وطلبت منه أن يهدأ ٠٠ ويكف عن الصراخ ٠٠ ثم قالت :

ـ ابحث عنها فى المشرحة !٠٠

قال مسحوقا :

ـ المشرحة !٠٠

ادارت الممرضة ظهرها له ، وانشغلت بزميلها النوبتجى ٠٠

★ ★ ★

فى المشرحة ، قال له الحارس :

ـ عد فى الصباح ٠٠ المشرحة لا تفتح أبوابها ليلا !٠٠

قال عاطف :

ـ لكن الأبواب فتحت الليلة ، لتدخل جثة زوجتى صفية ٠٠

نظر اليه الحارس دون أن يفهم شيئا وأخذ يلومه ، كيف يكون رجلا طويلا عريضا هكذا ٠٠ ويترك زوجته تموت وحدها مجهولة الشخصية !٠٠

حاول عاطف أن يشرح له المأساة كلها ٠٠ لكن الحارس قال بقرف :

ـ أعوذ بالله ٠٠ ماذا جرى لرجال هذه الأيام ٠٠ تترك زوجتك يا رجل تموت مجهولة الشخصية ٠٠ كاليتيمة ؟!٠٠

صاح فيه عاطف :

ـ أنت لا تفهم شيئا ٠٠ المسألة أن ٠٠٠٠٠

فنهره الحارس :

– صدعت دماغى ·· عد فى الصباح ومعك تصريح من البيه المدير ··

وتحرك عاطف ببطء ، وأخذ يدور حـــول مبنى المشرحة حتى هده التعب فانحط بجوار الحائط وتكور على نفسه وضم ابنته الى صدره ليدفئها من لسع البرد الذى ينهش وجهه وذراعيه ، وتمنى لو يستطيع البكاء عله يتخلص من أحزانه الثقيلة ، ويستعيد قدرته على الفهم ، ليرى ولو أملا ضئيلا فى الظلام الحالك الذى يحيطه من جميع الجهات ·· وسرعان ما تولدت الحياة فى الشارع وكبرت الضجة وغطت شمس النهار الجديد كل الدنيا من حوله ·· فهرول الى مدير المشرحة ، واستطاع أن يدخل الى « الثلاجات » ·· واغمض عينيه وهو يرى الجثث ·· وآلمته معدته وتقيأ ·· وبكت منى فضمها اكثر ، وأعطاها « الرضـاعة » التى صـــارت فارغة وأغراها حتى تتلهى فى « السكاتة » وبذل جهدا خارقا لكى ينظر فى وجه « صفية » ·· ورأى التشوهات التى أصابت عنقهـــا وذراعيها و ·· أحنى رأسه ، وقال للطبيب :

– لقد جئت أبحث عن صفية زوجتى ·· وهذه المرحومة فى الستين من عمرها على الأقل !··

قال الطبيب ساخرا :

– هناك شبان كثيـرون يعانون من عقـــد أوديب ويتزوجون المسنات طمعا فى المال و ··· ·

خرج عاطف بعد أن تأكد من أنه لا توجد صـفية أخـــرى فى المشرحة ، فى « وارد » الأمس ·· وأخذ يجر ساقيه ، يحدوه أمـل

فى انها مازالت تحيا ، ويحاصره الضياع فى صعوبة العثور عليها٠
وبكت منى بالحاح ٠٠ وفتش جيوبه فلم يجد أية نقود معه ٠٠ فاقترب من اول انسان قابله فى الشارع وطلب منه ثمن علبة لبن يشتريها لابنته فارتاب فيه الرجل وتركه بعد أن أسمعه سبابا قارصا ٠٠ احتار عاطف وأحس بأنه خال تماما من الاحتشام فى نظر كل الناس ٠٠ فتوقف بجوار اشارة المرور يفكر جديا فى الانتحار ٠٠ بل بدأ فى مراجعة أحداث اللقاء الأخير مع زوجته وجمع كل ما يساعده على الشك فيها ليدينها لكنه عجز عن منع نفسه من البحث عنها ٠٠ حتى لو كانت تخونه ، حتى لو كانت هربت مع عشيقها ، فلابد أن يعثر عليها ليؤدبها ويعلمها كيف تحترمه ، وتصون عرضه و ٠٠ اندس فى زحام الأوتوبيس ، وتمكن من العودة الى بيته ، وفتح باب مسكنه وتمنى لو وجد صفية فى انتظاره ٠٠ واقسم أنه سيعفو عنها ويسامح لبياتها خارج البيت طول ليلة أمس ، وسيحاول أن ٠٠٠٠٠٠ لكنه لم يجدها ٠٠ ومنى لا تكف عن البكاء ، فنادى جارته ــ الست وداد ــ التى جاءته ببطء ، لصعوبة تحركها بسبب السمنة التى ترهق كاهلها ، وقبل أن يقول شيئا ، سألته عن صفية ٠٠ وأعلنت أنها لم تسمع صوتها منذ يومين لماذا ؟٠٠ وأخيرا تمكن عاطف من تلخيص الموقف كله للست وداد ، التى ضربت صدرها براحتها فى حسرة وأخذت منى وأسرع عاطف يعد لها رضعة اللبن والينسون وعاد مرتبكا وطلب نقودا من وداد ، التى راودتها أحلام قديمة فقالت له :

ــ عينى لك ياسى عاطف !٠٠

ثم اقترحت عليه أن ينسى صفية ، فنظر اليها بضيق فاضافت انها ستعود حتما ٠٠ فلا داعى لانشغال البال بها ٠٠ ثم همست له بأن زوجها مسافر الى الزقازيق لاتمام عملية « صب مسلح عمارات

جديدة هناك ، ٠٠ وسيتأخر شهرا على الأقل فى عمله ٠٠ وما رأيك يا عاطف ٠٠ أنا وحيدة وأنت ومنى فى عينى وتعال نجرب ٠٠ يمكن تستطيع أنت أن تفعلها وتجعلنى أما ٠٠ فأنا خائفة أن يمر العمر، وأموت ٠٠ دون أن أنجب من زوجى ٠٠ ما رأيك ؟!٠٠

احتمل عاطف ثرثرة وداد ٠٠ بملل وضيق ، ثم نهض وقال لها :

ـ بعد أن أعود من الفيوم ٠٠

سألته :

ـ هل تسافر الى حماتك ٠٠ صفية أخبرتنى بالعداوة التى ٠٠

قال عاطف :

ـ أعطنى النقود ٠٠ وإما أن أردها لك ٠٠ وإما أن أعوضك عنها ولدا نذلا مثلى تماما ٠٠

ضحكت وداد ، وهى تخرج أوراقا مالية من صدرها ، متعمدة أن تكشف نهديها السمينين لعاطف الذى قال :

ـ منى والشقة أمانة ٠٠ أرجو أن تهمتى بهما ٠٠ و ٠ ٠

نهضت وداد فجأة وجذبته الى صدرها وضمته بشبق مكبوت ، واقترحت عليه أن يتمدد معها قليلا ليريح جسمه ، ثم يسافر فضحك لها بمرارة ، وقال :

ـ أنا وعدتك ٠٠ اطمئنى !٠٠

وهــرول خارجا ·· ومن بلكونة مسكنه أطلت عليــه وداد ، وبوقاحة ، صاحت وراءه بكلمات ظاهرها دعاء له بأن يجد السيدة صفية بنت الأصول ، وباطنها اعلان واضح لكل الجيران بأن زوجته خرجت ·· أو هربت منه ·· ليلة أمس مع عشيقها ··

واتسعت خطواته ، ليهرب من عيون والسنة النساء وسخرية الرجال وأحس بأن الجميع يعتبرونه غبيــا ·· قذرا ·· قوادا ·· حمارا ·· مخدوعا ·· وطارده احساس قوى بأنه صار عاريا من ثيابه وسط الشارع فانحرف فى أول شارع جانبى صـــادفه ، ولم يركب الأوتوبيس الذاهب الى الفيــوم ·· ولا القطـار الذاهب الى المنصورة ·· قال لنفسه :

ـ أعرف ما ستقوله أمها ·· وخالها عوضين حداية ·· ولن يجد ابنا لهذا الخال على الاطلاق لأنه لم ينجب أبدا ··

وكذلك هو يعرف ما سيقوله الأب الهارب من أجداده الغجر · سيتقلص صوته ، ويقول له :

ـ تتزوج رغم أنفى من صفية ·· جريمة ·· لكن تفرط فيها تتركها تفرط فى عرضك ·· فلا أنت ابنى ولا أعرفك الا اذا قلبت عليها الأرض وأحضرتها الى هنا لتذبحها تحت قدمى !··

وقد يتكرم والده ويتنازل له عن خنجره الغجرى لكى يقتل به صفية ، أو قد يغمده فى صدره هو ·· ليخلص العائلة من هـــذا الولد « الخرع » الذى لا يقــدر حتى على السيطرة على زوجتــه ، وحتما سوف يبصق فى وجهه فهذه عادته السيئة كلما غضب !··

استدار عاطف ، وقفـز فى الأوتوبيس الموصل الى ميـدان التحرير ، ثم عبر الكوبرى العلوى ، وبحث عن الأوتوبيس الموصل الى مدينة نصر وهناك عثر على المبنى الذى كانت تعمل به زوجته ·· ورحب به بعض زملائها الذين حضروا زفافهما أو عيد ميلاد منى منذ شهرين··وأصرت الآنسة «سهام» على أن يتفضل بالجلوس الى مكتب زوجته وأحضرت له فنجان القهوة بنفسها وسألته عن سبب تأخر المدام ، وأكدت له أنها فى غاية القلق ، فهى بالنسبة لها صديقة وأم حنون وأخت رؤوم قبل أن تكون رئيستها ، ثم أخبرته بأنها رقيت اليوم وصـارت سكرتيرة للمدام صـفية ، وجلست أمام عاطف ، وبقصد أو بدون قصد كشفت عن مؤهلاتها التى كادت تنسيه ما هو فيه من أحزان ، ولكنه رشف قهوته ، وسألها :

ـ رأيتك فى عيد ميلاد منى ·· أليس كذلك ؟

قالت سهام :

ـ وسأظل أذكر كرمك أنت والمدام ·· ان بيتكم له طعم الحنان ولا يمكن أن أنساه أبدا ·· وكيف حال منى ·· أتعرف أنهـا تجمع بين جمال أمها ·· ورقة ولطف وخفة دم الأب ·· حضرتك ··

و ·· غمزت بعينها وهى تسوى شعرها بحركة جعلت نهديها يبرزان للأمام ، وكشفت فى نفس الوقت عن روعة خصرها النحيل ، وبروز ردفيها وانسياب فخذيهـا و ·· ازداد حلقه جفـافا وعاد يسألها :

ـ صفية قالت لى ان ·· ابن خالها الأستاذ سيد عوضين ·· سيحضر لها الآن بالمكتب وطلبت منى أن أقابله لأنها لن تحضر اليوم ، وهناك أمر هام لابد أن أناقشه مع ابن خالها الأستاذ سيد عوضين حداية ··

ورغم ان عاطف ضغط على حروف الاسم ، الا ان سهام قالت بسرعة :

ـ غريبة يا عاطف بيه ·· أول مرة اعرف ان قريبــا للمدام سيزورها ··

اسرع يقول بلهفة :

ـ غير معقول ·· ان الأسرة كثيرة العدد ·· و ··

عادت سهام تقول :

ـ لن تصدق ، اذا قلت لك ان حضرتك اول رجل يزورها منــذ عامين كاملين ·· وربما اكثر قليلا فانا هنا منذ ······

نهض عاطف واقفا ، وسأل سهام :

ـ لابد انهما تقابلا خارج العمل ·· او فى مكالمة تليفونية ··

قالت سهام :

ـ أنا ·· مع المدام منذ عام ·· وكل مكالماتها تمر من خلالى انا ·· وكنت بينى وبينك فى دهشة من أمر المدام ·· وأتساءل ـ فى سرى طبعا ـ كيف لا يكون لها صديق حتى ولو عن طريق التليفون·· ولكننى عندما رأيت حضرتك فى عيد ميلاد « القمورة » منى الصغيرة ·· عرفت السبب ··

حدق عاطف فى وجه سهام ببلادة ولمعت عيناه ·· فأضافت :

ـ ان اية امــرأة تعرف حضرتك لا يمــكن ابدا ان تفــكر فى

الاهتمام برجل آخر ·· فانت يا عاطف بيه ·· مثال الرجل الكامل من كله ·· شباب ·· جمال ·· رجولة ·· شهامة ·· بينى وبينك انا احسد المدام على انها تزوجتك ·· واحلم بأن يسعدنى حظى برجل مثلك ويومها سأكون اسعد امرأة فى العالم ·· و ···

صاح فيها عاطف :

ـ يا آنسة سهام ·· المدام صفية زوجتى المحترمة ·· ورئيستك المحتشمة ·· اختفت منذ صباح امس الجمعة ، ولم تعد حتى الآن ·

صاحت سهام بفزع :

ـ صفية ؟!··

امسكها عاطف من ذراعيها وهزها بعنف وقال :

ـ كفى لحظة عن اسطوانتك السخيفة ، وأخبرينى أرجوك ·· هل زارها سيد ابن خالها يوم الخميس أم لا ؟··

قالت سهام :

ـ أبدا ·· اقسم لك !··

قال لها :

ـ اذن من هو سيد بك الذى جاء يوم الخميس وحصل على أذونات التصدير والاستيراد وطلع صديقا للوزير وتسبب فى ترقية زوجتى صفية وترقيتك انت كما قلت الآن ؟··

شحب لون سهام ، ولكنها تماسكت وقالت :

ـ أولا ٠٠ اخفض صوتك اذا سمحت ٠٠ والا جمعت علينـــا الموظفين وأزعجت البيه المــدير وتسببت فى فصـلى من عملى ٠٠ أقسم لك بشرفى وشرف بابا وماما ٠٠ وشرف ربنا ٠٠ ان المدام أطهر من الملائكة ذاتها ٠٠

وصمتت فجأة ، عندما انهار عاطف على المقعد شـــاحبا ، وأحس بدقات تكاد تدمر رأسه ، وأغمض عينيه ، فأسرعت ســهام اليه بزجاجة عطر أخرجتها من حقيبتها وسكبت منها كمية كافيـة لتبلل كل وجهه وتنعشه الى درجة كافية لكى يفتح عينيه مرة أخرى ويحدق فى وجه سهام وهو يسألها :

ـ أنت ؟٠٠

نظرت اليه بدهشة أكبر ، وقالت :

ـ تحت أمرك ٠٠ أطلب لك كوبا من الليمون وبعـد ذلك أسأل مديرنا اذا كان يعرف أحد المسئولين بالداخلية أم لا ٠٠ لكنه حتما سيساعدك ٠٠ وأكيد ٠٠

قاطعها قائلا :

ـ كفى عن الكلام لحظة ، لكى أفهم هذا الكابوس الرهيب ٠٠ ألم تكونى فى التاكسى الذى ذهب بنا يوم الخميس الى طريق مهجور قرب مطار امبابة ؟!٠٠

سألته :

ـ أنا ؟٠٠

قال :

ـ وسرقنا اللصوص ٠٠ واغتصبوك ٠٠

ضحكت وقالت :

ـ لابد أن حضرتك متعب جدا ٠٠ طبعا لم تنم منذ اختفت مدام صفية ٠٠ لكن أؤكد لك أننى لا أعرف أين توجد امبابة هذه ٠٠ ولدت فى مصر الجديدة ٠٠ ودخلت جامعة عين شمس وعينت فى مدينة نصر ٠٠ كل ما ذهبت اليه هو دور السينما احيانا فى شارع قصر النيل أو سليمان ٠٠ أتعرف ٠٠ مرة ذهبت الى حديقة الحيوان وتهت فى الجيزة ساعة كاملة قبل أن يدلنى شرطى المرور الى طريق العودة عن طريق صلاح سالم ٠٠ ويومها كادت سيارتى تنقلب و ٠٠

سألها :

ـ هل لك أخوات ؟!٠٠

قالت :

ـ أبدا ٠٠ فأنا الابنة الوحيدة ٠٠

صمت فى حيرة مؤلمة ولكنه لم يبعد عينيه عن سهام ٠٠ لها نفس الوجه ٠٠ نفس الشفاه ٠٠ نفس الأنف ٠٠ نفس النظرات ، ولون عينيها ٠٠ والجسم ٠٠ واكيد ٠٠ اكيد ٠٠ نفس المؤخرة التى عراها اللص ٠٠ فقال :

ـ لا تخافى الفضيحة ٠٠ لن ابوح لأحد بما حدث ٠٠ فقط اخبرينى ٠٠ ماذا حدث لك بعد أن اعتدوا عليك بوحشية ؟!٠٠

ضحكت بمرح ، وهى تضع ساقا على ساق ، فذكرته اكثـر بفخذ الراكبة الحسناء وقالت :

ـ أتعرف انها حكاية مسلية جدا ٠٠ ما رأيك فى أن أدعوك للغداء فى كافتيريا الوزارة ٠٠ فوقنا فى الدور السابع ٠٠ هنـاك بانوراما رائعة ٠٠ ونكمل القصة المثيرة ؟!٠٠

قال :

ـ أؤكد لك أننى حاولت انقاذك ضربت اللصين اللذين بقيـا معى فى التاكسى ٠٠

قالت ببساطة :

ـ لكننى لا أرى آثار الاشتباك معهما ٠

وضحكت ، اضافت :

ـ تأكد أننى اتمنى كثيرا كلما قرأت عن حوادث خطف البنات والسيدات ٠٠ تمنيت لو أننى خطفت ٠٠ ما رأيك ٠٠ هل تجـرب معى ٠٠ اخطفنى ٠٠ وأنا أثبت لك أننى لم اخطف من قبل ٠٠ وأدلتى قوية ٠٠ أننى مازلت عذراء !٠٠

وكاد عاطف يصاب بجنون كامل ٠٠ وظل صامتا ٠٠ يؤكـد لنفسه انها هى نفس البنت التى خطفت واغتصبت أمامه وجعلتـه ينهار ويحتقر نفسه و ٠٠

فاجأته بقولها :

ـ هل لذلك علاقة باختفاء زوجتك ٠٠ اذا كان هناك اية علاقة فأنا على أستعداد لأن أوافقك على ظنونك كلها ٠٠

فقال فى يأس :

ــ لم اعد قادرا على فهم اى شىء ٠٠ لم اعد قادرا حتى على العودة الى طفلتى الصغيرة ٠٠ واخشى ان تصبح يتيمة الأبوين بعد وقت قصير من الآن ٠٠

قالت سهام :

ــ اذا قبلت دعوتى للغداء ، فاعدك بان تتعلق بالحياة اكثر من أى يوم مضى من عمرك ٠٠ جرب ولن تخسر شيئا ٠٠

نظر اليها ، وسأل بحزن :

ــ كيف تعلمت هذه الجرأة ٠؟ كيف واين ؟!٠٠ وماذا حدث لنا ؟!٠٠ لسنا فى كباريه ٠٠ اننا نفقد الاحتشام بسرعة مجنونة ٠٠ لماذا ؟٠٠

قالت سهام :

ــ لو تكف عن هــذه العصبية المخيفة ، فسوف تتيح لنفسك ولادارتنــا الفرصة لكى نفكر معك فى اسلم وسيلة لاسـتعادة مدام صفية ٠٠ ما رايك فى الغداء الآن ؟٠٠

بلغ ارتباك عاطف ذروته ، اصبح عاجزا عن الكلام ، نهض بتثاقل ، وهم بالخروج وعندئذ صارحته سهام ٠٠ قائلة :

ــ صــدقنى ٠٠ لقــد حاولت ابلاغ الأمر الى البوليس ولكنى خفت من الفضيحة ٠٠ وسرعان ما اكتشفت ان المسالة مجرد رغبة عارمة فى امتلاك جســدى الذى اثار لصوص التــاكسى ٠٠ وهانذا ــ كما ترى ــ اعيش ولكنى مازلت اخشى الفضيحة ٠٠ وتصور انت

اسرتى ٠٠ وبالذات أبى وهو يذهب الى قسم امبــابة لكى يتسلمنى ٠٠ وأظل مطلوبة للبوليس لاستكمال التحقيق والتعرف على وجوه المجــرمين و ٠٠ فضــــيحة ٠٠ ان أبى كان سيقتلنى لو عرف ٠٠ ما رأيك الآن ؟!٠٠

استند عاطف على الجدار ٠٠ ثم استدار وجلس ، وقال ببطء وضعف :

ـ والآن أخبرينى ٠٠ هل لما حدث لك ولى ٠٠ علاقة بصفية ؟٠

قالت باندهاش :

ـ كيف ؟!٠٠ أنت بالتأكيد تعرف أنهم فعلوا بنا ما فعلوه دون اى تعارف ٠٠

قال عاطف :

ـ لكنك تعملين معها ٠٠ فى مكان واحد ٠٠

قالت :

ـ لكن الخطافين فى كل مكان ٠٠ والتكرار جعل المصادفات تتحول الى حقائق ثابتة للأسف الشديد ٠٠ معذرة ٠٠ لقد تعلمت ألا أرهق عقلى فى شىء أبدا ٠٠

عاد يكرر :

ـ لكنك تعملين معها فى مكان واحد ٠٠

مالت عليه قليلا ، فملأت أنفه نفس الرائحة التى فاحت من شعرها يوم جاورها فى التاكسى ، وهمست :

ـ وما الفرق ؟٠٠ وهل لو كنت أعمل أنا فى مكان آخر ٠٠ ومع امرأة أخرى غير زوجتك ٠٠ هل كانت زوجتك ستنجو من الخطف ؟!٠٠

ثم أضافت :

ـ لو أنها خطفت فقط ٠٠ لنفس الغرض الذى خطفت أنا له ٠٠ فأكيد ستعود اليك ٠٠ أما اذا كان لغرض آخر ٠٠ فالله يلطف بها وبك وبى ٠٠ فأنا أحبها وأحترمها ولا أجد غيرها يعطف على مشاعرى ٠٠ لقد كنت أعتبرها أما لى ٠٠ رغم أن فارق السن ليس كبيرا ٠٠ لكننى حرمت من أمى منذ طفولتى ٠٠ آه ٠٠

وصمتت متنهدة فى ألم ٠٠ ومسحت دموعا لمعت فى عينيها ، بأناملها الطويلة الرقيقة ٠٠ وقالت :

ـ ماذا ستفعل الآن ؟٠٠ هل تحب أن أخبر المدير ؟!٠٠ اننى أخشى من الفضيحة ٠٠ وأرى أن نؤجل ذلك فربما عدت الآن للبيت ووجدتها ٠٠ ولو حدث هذا ٠٠ أرجوك ٠٠ ارحمها ٠٠ فأنت رأيت بنفسك ما حدث لى ٠٠ ولك ٠٠ ولم يكن لنا يد فى المأساة ٠٠ هه ٠٠ عدنى أرجوك ٠٠

ثم ٠٠ فاجأته بقبلة على شفتيه ، وهى تضحك وتقول :

ـ نسيت أن أقول لك أننى طوال الوقت الذى جلسته بجوارك فى التاكسى شعرت برغبة جارفة اليك ٠٠ وحاولت أن أتذكر أين رأيتك قبل ذلك ٠٠ و ٠٠ اعذرنى لقد سقط حفل عيد ميلاد ابنتك منى

من ذاكرتى . لانشغالى بقصة حب مجنونة مع شاب وسيم جدا يسكن فى الدقى ، وكنت يومها على موعد معه لكن ٠٠ حدث ما حدث !٠٠

خرج عاطف من الحجرة ، سار فى ممر طويل ، مكيف الهواء ٠٠ وهبط سلما طويلا ٠٠ نظيفا خاليا من البشر ٠٠ وكان يحس طوال الوقت ، أنه يتجه نحو القاع ببطء ٠٠ ببطء ٠٠

ثم هرول ، وخطف الدرجات المتبقية من السلم خطفا ، وهو يلهث ، وقد أفزعه خاطر مخيف :

هل أرسل والده ، أحد الغجر لخطف صفية ؟!٠٠

★★★

الفصل التاسع

عاد عاطف الى البيت مسرعا ، ليأخذ ابنته منى ويسافر الى والده ، ويحسم المشكلة ·· اذا كان هو الذى دبر اختطاف صفية·· لكنه صدم بالست وداد ، تقول له بقلق يهز لجسمها السمين :

ـ جاء عسكرى يطلبك للقسم ·· ترك لك ورقة استدعاء ·· ونبه بضرورة ذهابك فورا اليهم ··

ثم اضافت :

ـ ويظهر ان المسالة كبيرة ·· وانا اخاف من زوجى ·· ولا أحب التورط فى مشاكل مشبوهة ··

صاح بها لتكف عن الكلام لحظة ، لكنها اضافت وهى ترمى اليه ابنته :

ـ العسكرى قال ان بوليس الآداب ·····

ولم تكمل ، لأنه طردها خارج مسكنه وقد عجز عن تحمل الصدمة ·· بوليس الآداب ؟! ·· انه النهاية المعقولة لهذه الدعارة التى لوثت الوجود ·· وشوهت الحياة ··

لكن ··

كيف يجرؤ على مواجهتها وسط المشبوهات فى الحجز ؟! ·· كيف يحتمل الحياة معها بعد ذلك ·· سهام طلبت منه أن يعفو عن صفية اذا عادت اليه فهل يقدر ؟! ·· ثم ·· كيف انتهت المأساة الى شرطة الآداب ؟! ··

حمل منى ، والرضاعة ، وهرول خارجا تدفعه رغبة انتحارية فى أن يتجرع المهانة حتى آخرها ·· تماما ·· مثلما حدث يوم أجبره الجلاد على لعق حذائه ، ورفض ، وتحمل الضرب ، ثم ركع وفعلها ، وظن أنه لن يقدر على مواجهة زملائه الطلبة بعد ذلك ، لكنه واجههم وابتلع المهانة وشعر بها وهى تترسب فى عمق أعماقه ، كجرثومة وبائية تفرخ جراثيم شتى ومتعددة وتلوث كل خلايا دمه بالخوف والاذلال ··

قال الضابط :

ـ أمسكنا خمس داعرات ـ واعذرنى فى هذه الكلمة ـ ويمكنك الآن أن ترى بنفسك ما اذا كانت زوجتك بينهن أم لا ؟ ··

تردد عاطف لحظة طويلة ، ثقيلة ، ثم انقاد ليد الضابط الذى فتح بابا لتدخل منه خمس نساء ، عليهن بصمات الليل وآثامه ، فأحنى رأسه وقال بسرعة :

ـ غير معقول ·· اننى لا أحتمل هذا أرجوك ··

نهره الضابط ، وقال :

ـ انني متعب واريد أن أرتاح من مشكلتك هذه ٠٠ هيا ولا تعطلني اكثر من هذا ٠٠

عاد عاطف يلقى نظرة مرعوشة على الوجوه الشاحبة ، ذات الشفاه المغطاة بطلاء فاقع ليدارى ذبولها ، وأفزعه أن بينهن فتـاة صغيرة ، جسمها ووجهها ونظراتها تقول انها لم تصل بعد الى سن الخامسة عشرة من عمرها ٠٠ ولكن قلبه لم يعد به مكان لمزيد من الأحزان ، فاستدار فرحا لأنه لم يجد صفية بينهن وصارح الضابط قائلا :

ـ لقد تمزقت فى هذه الدقائق ٠٠ كنت أتمنى أن تكون صفية بينهن لأرتاح من عذاب الخوف عليها ، وكنت فى نفس الوقت أتمنى ألا تكون هنا ٠٠ لأننى لا أحتمل أن أراها هنا ٠٠ حتى ٠٠ حتى لو ماتت ٠٠ فذلك أرحم !٠٠

قال الضابط بملل :

ـ أنصحك بأن تكون دقيقا فى كلامك ٠٠ فربما اضطررت الى استصدار أمر من النيابة بالقبض عليك بتهمة قتل زوجتك واخفـاء جثتها فى مكان ما ٠٠

صاح عاطف ؟!٠٠

ـ معقول ؟!

قال الضابط :

ـ أتمنى ألا يحدث لك ما أتوقعه !٠٠

وخرج عاطف اكثر ذهولا وحزنا وقلقا ، ووقف على رصيف الشـــارع ، وهم بأن يرمى نفسه تحت اول سيارة قادمة نحوه ٠٠ وكاد يفعلها لولا انه احس بمنى التى ترقد على ذراعيه فى ضعف ، وتوسل ٠٠ وتنظر اليه ، فضمها وعاد الى بيته ٠٠

★ ★ ★

راته وداد ٠٠ وهى واقفة فى نافذتها تحكى لجاراتها تفاصيل خيالية عن ضبط صفية فى الشقق المفروشة ولكنها صمتت عنـــدما راته ٠٠ ولم تكمل حكايتهـا عن أدق التفاصيل حول وجود صـــفية عارية مع احـــد الأمراء فى شقة بالزمالك و ٠٠ على سلم البيت قابلته ، ودخلت معه الشقة ، وحملت منى ، وجلست معه عنـــدما عرفت أنه لم يجد صفية فى بوليس الآداب وقالت انها كانت واثقة أن العسكرى يكذب ، وربما كان يطمع فى الحصول على ربع جنيـه بقشيش و ٠٠ جذبت عاطف الى جـوارها أو هى التى زحفت الى جواره ، وحاولت أن تجذب الغطاء فوقهما ، لكنه تملص منهـــا ، وقد أعجزه القرف عن صفعها ، لكنها طاردته ، وقالت انه يجب أن يفى بوعده ٠٠ ويجعلها تنجب طفلا ، ثم أعطته نقودا اخرى ، وجد نفسه يهتف :

ـ ليته تركنى أهرب الى أجدادى الغجر ٠٠ وأصبح سارقا ٠٠ لكنه أنجبنى وربانى لأصنع لنفسى كل هذا الشقاء ٠٠ و ٠٠ أدهشه أن صوته لم يخرج من حلقه ، وان لسانه قد جف وثقـــل والتصق بسقف حلقه وصار لا يرى ولا يحس ٠٠ ووداد تلعقه بشراهة ولهاثها يلسع جلده ٠٠ ودق جرس الباب ٠٠ فانكمشت وداد ٠٠ وتركته ،

وأسرعت بارتباك تحمل منى على ذراعيها وفتحت الباب ثم صاحت مدعية الفرح :

ـ أبوك يا عاطف أفندى !··

وافسحت الطريق ، ليدخل الأب مكفهر الوجه ، وأصـــابعه تداعب شاربه بحركة تلقائية ، وقابله عاطف فى منتصف المسافة ، وهو يبذل جهدا خارقا لكى يقاوم خوفه و ·· حاول أن يعرف سبب حضوره ؟!··

★★★

الفصل العاشر

صاح الأب فى غضب :

– البوليس يسألنى أنا عن صفية ؟! مالى أنا يا ولد ؟!٠٠ هل جعلتك رجلا طويلا عريضا لكى تجعل البوليس يطلبنى للتحقيق على آخـر الزمن ؟!٠٠ رد يا ولد ٠٠ ان اجـدادك لو عرفوا أن هـــذا سيحدث لى لقتلوا أمى قبل أن تلدنى يا كلب ٠٠ انطق ٠٠ مالى أنا وصفية ؟!٠٠

حـاول عاطف أن يشرح الأمر كله لوالده وحـاولت وداد أن تعرف مزاج الأب فى فنجان القهوة ، وبكت الصغيرة منى ، وسيطر الارتباك ٠

وقال عاطف لوالده :

– أنت الذى صنع البداية الأولى لهذه المأساة ٠٠ انت ٠٠

هوت يد الأب بقسوة على وجه عاطف ، وبصق عليه ، وقال :

ـ لو عرفت أن لسانك سيطول على مقامى ‥ لقتلت أمك يوم حملت بذرتك النجسة !‥

ونهض ليخرج متوعدا منذرا :

ـ اذا جاء البوليس ليحقق معى مرة أخرى ‥ فساقتلك لا محالة !‥

أسرع عاطف يمنع والده من الخروج ‥ قال بغضب :

ـ لابد أن نصفى الحساب القديم بيننا الآن ‥ لابد ‥ ولن تخرج حتى لو مررت على جثتى ‥ أرجوك ‥ اننى أنتظر هذه اللحظة منذ ثلاثين سنة لكى أقول لك رأيى ‥ أنت المسئول عن ضياعى ‥

جذبه الأب بعنف ، وأبعده عن الباب لكن عاطف تعلق بساقه ، ومنعه من الخروج ، وصاح :

ـ قتلت ارادتى بقسوتك وأنا صغير ‥ قدمتنى مهزوز الارادة الى الحياة ‥

قال الأب :

ـ فشلت فى تربيتك يا كلب ‥ ما كان يصح لك تعليم المدارس ‥ مكانك خيام الغجر ليجعلوا منك رجلا محترما ‥

قاطعه عاطف :

ـ لا ٠٠ لا تتكلم انت ٠٠ جاء دورى أنا للكلام بعد أن ظللت وحـدك تأمر وتضرب وتبصق ٠٠ وتغلق باب حجرتى بقفل كبيـــر لتجبرنى على طاعتك ٠٠

قال الأب :

ـ لأمنعك من الاساءة الى بنات الناس !٠٠

قال عاطف :

ـ هناك شيء تجهله يا ابى ٠٠

قاطعه الأب :

ـ اخرس يا كلب ٠٠

استمر عاطف يقول ::

ـ تجهل انك كنت صغيرا ٠٠ ومراهقا ولا تعرف كيف مررت انت بمتاعب السنين وهى تأخذك الى مرحلة النضج ٠٠ بل ربمـا تعرفها وتذكرها وتخجل مما فعلته بها وتريد منى أن اتحمل وحـدى نتيجة ندمك على ما فعلته فى مراهقتك وشبابك قبل أن تتزوج أمى ٠ ونسيت أن دماءك أنت أيها الغجرى الأصيل تجرى فى عروقى أنا أيضا ٠٠ نسيت انك عرفت أمى عندما كنت تسرق مواشى والدها ٠٠ نسيت كل هذا ٠٠ أو تريد أن تهرب منه ، وتحملت أنا وحدى أخطاءك التى كانت تؤرقك وتجعلك غريبا وسط الفلاحين ، ومطرودا مغضوبا عليك من أهلك الغجر ٠٠

صاح الأب :

ـ كلام فارغ ٠٠ لا أفهمه ولا أعرفه ٠٠

قال عاطف :

ـ وهذا يضاعف من مأســـاتى الآن ٠٠ ان الآباء لا يفهمون أبناءهم دائما وأنت تنسى أننى كنت طوال الوقت فى حاجة شديدة الى عطفك وحنانك ٠٠ كنت أحلم بالليل أن يدك هذت تربت على ذراعى وكتفى وشعرى بأبوة ٠٠ كنت أحلم أن صراخك الغاضب يتحول الى صوت حنون يقول لى يا ابنى ٠٠ يا ولدى ٠٠ كنت ٠٠

صاح الأب بضيق أشد :

ـ وما دخل كل هذا الكلام الفارغ باختفاء صفية ٠٠ هه ؟!٠٠ ما دخلى أنا بزوجتك المايعة بنت البنادر التى أمرتك بتطليقها فرفضـ وخرجت عن طوعى ٠٠ هه ؟!٠٠

قال عاطف :

ـ لك دخل كبير ٠٠ فأنت الذى صنعتنى يا أبى ٠٠ أنا ابنك ٠٠ وأنت الذى جعلتنى اتعثر فى تفكيرى أمام أية مشكلة ٠٠ وأنت الذى جعلتنى أساق ذات يوم الى السجن بتهمة لا أعرفها ، وجعلتنى أهتز أمام كرباج الجلاد وألعق حذاءه وجعلتنى لا أحتمل العذاب برجولة الرجال مثل بعض زملائى ٠٠ جعلتنى لا أصلح لأى شىء يا أبى ٠٠ أتعرف الآن حجم ما صنعته بى ؟!٠٠

صمت عاطف مبحوح الصوت ، ومبلل الوجه بالعرق ٠٠ وظل يحدق فى وجه والده ويرقب حـركة أصابعه على شاربه الحـاد ٠٠

وتوقع أن يكيل له أبوه الضربات من جديد ‥ لكنه فوجىء به يجلس صامتا على مقعد بجوار منضدة السفرة ، ويسند رأسه على راحته ، ويغمض عينيه ، ويغيب فى صمت طويل ‥ متوتر ‥ ثم يقول فى حزن :

– أردت أن أجعلك رجلا يشرفنى يا ولدى ‥ وسط أهل أمك ‥ وكنت أنتظر اليوم الذى أراك فيه رجلا يسندنى ويثبت لهم أننى عرفت كيف أربيك ، و ‥‥ أردت أن تكون أنت أصلى وفصلى وعائلتى ‥‥ لينسى الناس أننى كنت غجريا ولكنك ضيعت أملى ، وجعلتهم يقولون ان ابن الغجرى ، سيظل غجريا مهما تعلم ٠ وفضحتنى فى البلدة كلها !‥

وانهار عاطف على ركبتيه ، وأسند رأسه على ركبتى والده‥ وبكى بمرارة وحزن ، واهتز جسده كله من البكاء ، وقال :

– لو صارحتنى ‥ لو كنت شرحت لى ‥ فربما ‥ اكيد ‥ كنت فعلت شيئا يفيدك ويفيدنى ‥ ويجنبنا هذا العار الذى يحاصرنا ‥

واهتز جسده ، وذرف دموعا طال احتباسها فى أعمق أعماقه، وكأنه يريد أن يغتسل من اذلال العمر كله ، وكرر قوله :

– كان لابد أن تصارحنى يا أبى ‥ وأن تعطينى الفرصة لأصارحك ‥ و ‥

قاطعه الأب :

– تقول كلاما لا أعرفه يا ولدى ‥ اننى كنت دائما اخاف من اليوم الذى تتعلم فيه ‥ لكننى صممت على أن أجعلك احسن منى ‥

وها هى المصيبة تقع ٠٠ فتقول لى كـلاما لا افهمه ٠٠ فمـا حيلتى انا ؟!٠٠

قال عاطف :

ـ ساعدنى ٠٠ لأجـد صفية ٠٠ وبعـــدها ساكون معك ٠٠ ونعوض كل ما ضاع منا ٠٠ ساعدنى يا أبى ٠٠ فانا وحيد ويدمرنى شعورى باليتم ٠٠ انجدنى ٠٠

ربت الأب على راس عاطف ٠٠ ربمـا لأول مرة فى حيـاته ، وتمنى لو استطاع أن يضمه الى صدره ، ويحكى له كيف أنه أيضـا وحيد ٠٠ ويتيم ٠٠ فى القرية ٠٠ رغم أن الجميع يخافه ٠٠ ويخشى أن يسطو على مواشيه ٠٠ وأن زوجته ٠٠ أم عاطف نفسها تخاف بل تكاد تموت رعبا اذا كلمها او غضب منها او تصنع هذا الغضب ليستميلها الى احضانه فى ليالى الشتاء الباردة ، وأنه يكاد يبكى امامها ويصارحها بانه يريدها زوجة وأما واختا واهلا له ، لتؤنس غربته وسط الفلاحين ، وكاد اكثر من مرة أن يقترح عليها أن تهاجر معه من القرية الى خيام الغجر فى طهـواج ، لكنه خاف أن تطيعه خوفا منه ، وليس عن تعـلق به ٠٠ فسكت ٠٠ وظل سـاكتا طوال حياته حتى فجعه عاطف بزواجه من صفية ، ورفض أن يطلقها فجدد احزانه التى تضخمت يوم خطفوه منه الى السجن وذهب يومهـا ليزوره فرفضوا ٠٠ وطردوه ، فعاد الى القرية ومعه عاره وخزيه واحساسه بالضآلة امام أهل زوجته لكنه ٠٠

قالت وداد :

ـ القهوة بردت ياجماعة ٠٠ أجهز لكم العشا ؟!٠٠

ونظر اليها والد عاطف ، فاسرع عاطف يقدم جارته الحنون الطيبة ذات القلب الأبيض التى تعطف على ابنته منى وترعاها منذ اختفت صفية ٠٠ وشكرها الأب ودعا لهـــا بطول العمر ، ثم رشف قهوته بصوت عال ، واشعل سيجارة لف ، وقـدم واحـدة لابنه ٠٠

وارتعشت اصابع عاطف اكثـر من مرة وهـو يدخن سيجارته امام والده ٠٠ لكنه احس بانه صار صديقا لأبيه واصـبح قريبـا منه ، وجعله ذلك الشعور المفاجىء ، يتخفف من احزانه وآلامه واستعاد صفاء ذهنه فأخذ يفكر فى صفية بهدوء اكثر ٠٠ اسرع الى الدرج الذى تحتفظ فيه باوراقها الخاصة منذ تزوجها ، وفتحه ٠٠ واخـذ يقلب فيه ، بحثا عن أى عنوان او رقم تليفون ، يدله على مكانهـــا او يساعده على معرفة مصيرها ٠٠ وفتح خطاباتها الخاصة لأول مرة ٠٠ وقرأ توقيعات اصحابها ثم قرأ الخطابات و ٠٠ وكاد يصيح فى جنون ، لكنه تماسك عندما وجد والده يجلس بجواره فى اهتمام واضـح ٠٠ ولم يستطع عاطف الاستمرار فى القراءة ٠٠ وحمـل الخطابات فى حـزن واستدار الى والده ٠٠ وقال اخيـرا بصوت متحشرج :

ـ تصور ؟٠٠ صـفية تكتب لى كل هـذه الخطابات ٠٠ وانا اعيش معها ٠٠ ولا أعرف أنها تعانى كل هذا العذاب الرهيب !٠٠

ساله والده :

ـ تكتب لك جوابات وانت معها ؟!٠٠ كيف يا ولدى ؟!٠٠

هز عاطف الخطابات فى يده ، وقال فى ضعف :

ـ كانت تريد أن تقول لى اشياء كثيرة لكنها خافت ان اغضب تصور ٠٠ فى هذا الخطاب ٠٠ تطلب منى ان اصالحك واقبـل

يديك وقدميك ·· وفى هذا الخطاب ، تطلب منى أن آخذها فى زيارة لأمها فى الفيـوم لنصالحها وندعوها لزيارتكم فى القرية ·· وفى هذا الخطاب الثالث تقول ان الغربة قاسية فى القاهرة ولا ضمان الا بتآلف أهلنـا وتعارفهم لكى نصنع لنـا ·· هى وأنا ومنى ·· سياجا من الأمن والطمأنينة !· وفى هـذا الخطـاب الرابع تسألنى فيه : منى مريضة وقد تموت لا قدر الله ·· أو قد يموت أحـدنا ·· أنا أو هى ·· ترى أين ندفنه ·· وتقول : لو حدث ـ كمـا يحدث عادة ـ حريق أو حادث ومتنا كلنا فأين سيدفننا النـاس ، وهم لا يعرفون لنا أهلا أو أقارب ؟!·· فى مقابر الصدقة طبعا ·· وفى خطاب آخر تقول لى أنها منذ رزقنا بابنتنا منى ·· أحست أن البنت عندما تكبر ، فلابد أن تجد وتعرف من هو جدها ·· من هى جدتها ومن أين جئنا ·· وما هو أصلها ·· حتى تعرف أن لها جذورا ·· وعائلة ·· لكى لا يحاصرها اليتم الاجتماعى وتفقد صوابها و ·· تصور يا أبى ··صفية تقول كل هذا فى خطابات وتخشى أن تصارحنى حتى لا أغضب ·· مجنونة ·· مجنونة ·· ليتها صارحتنى ·· كان يجب أن تصارحنى ·· لقد كنت أفكر فى نفس الشىء ، وكنت أخشى أن يؤلمها الحديث وكنت أؤجل فتح الموضوع معها الى وقت آخر على الدوام ·· آه ·· ليتها صارحتنى ··

قال الأب فى دهشة :

ـ انها متعلمة مثلك ·· فكيف فعلت ما فعلته أنا ؟·· انكمـا لا تقلان جهلا عنى !··

ومصمص شفتيه فى حسرة وصمت ··

و ٠٠ دق جرس البـاب ٠٠ وهرولت وداد وفتحتـه وعلى ذراعها منى تبكى ٠٠ وصاحت وداد من الفزع :

ـ « صفية » ٠٠٠

وسقطت منى من ذراعيها ، لكن صفية تلقت ابنتها وانهارت بها على سجادة الصالة وأخذت تلهث ، وهرول عاطف ٠٠ وسبقه والده ٠٠ وأخذ رأس صفية بين راحتيه بحنـان ، وأبوة ، وركع عاطف بجوارها وقبل يديها وعينيها ٠٠ ومسح ترابا وعرقا ودما عن وجهها الشاحب وحاول أن يفتح عينيها ، وناداها مرات عديدة : صفية ٠٠ صفية ٠٠ لكنها كفت عن اللهاث ٠٠ وسرت البـرودة فى جسدها ٠٠ وتراخت يداها عن جسد ابنتها منى ٠٠ التى ظلت تبكى وتردد بحروف ممزقة ٠٠ متفرقة : ما ٠٠٠ ما ٠٠٠ ما ٠٠٠ ما ٠٠٠

وغطت وداد جسد صفية بملاءة السرير ، وتشهدت عليها ٠٠ ثم صرخت بصوت قوى مرعب تعلن للحى كله نبأ وفاة صفية بالسكتة !

فى اللحظة التالية ، دخل الضابط ، ومعه عسكرى يقسم أنه كان يمسك بذراعها جيدا لكنها فى أول الشارع انفلتت منـه وظلت تجرى ٠٠ تجرى ٠٠ و ٠٠ قال الضابط لعاطف :

ـ هاجمنا شقة بعض الأشقياء الخطرين وعثرنا على مخدرات

وامرأتين منحرفتين ، وكانت زوجتك مقيدة بحبال غليظة و ٠٠ و ٠٠
واضح أن ٠٠٠٠٠٠٠

وصرخت الطفلة « منى » فى ذعر ٠٠ وبحركة مباغتة اختطف عاطف الخنجر الغجرى من حزام والده ٠٠ وانطلق الى الشارع !٠

((تمت))

« حسن محسب »

رقم الايداع بدار الكتب ٣٦٧٨
الترقيم الدولى ٦ ـ ٩٥ ـ ٧٣١٧ ـ ٩٧٧

دار غـريب للطبـاعة
١٢ شارع نوبار (لاظوغلى) القاهرة
ص . ب (٥٨) الدواوين تليفون **٣٥٤٢٠٧٩**